كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

التنـــاص
عند
محمود الخفيف

" دراسة تحليلية فنية "

إعداد

د/ محمد عمر أبوضيف

أستاذ الأدب والنقد المساعد
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بسوهاج

(العدد الخامس والثلاثون الجزء الثالث ٢٠١٦م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله وكفي، وسلاما علي عباده الذين اصطفى. وأزكى صلاة الله وسلامه علي نبينا المصطفى.

وبعد ،،،

فإن التناص من المصطلحات الأدبية الحديثة، والتي ظهرت تحديدا في منتصف الستينيات من القرن الماضي في الأدب الغربي ثم تناوله نقاد عرب بالتنظير والتأطير والشرح والتحليل، ومحاولة إظهار ضوابطه ووضع قواعده حتي صار شبه مستويا علي سوقه، وقد قرأت عنه وأردت تطبيقه.

علي مبدع فاخترت الأديب والشاعر محمود الخفيف والذي كان غزير الإنتاج الأدبي ونتاجه كان متنوعا تنوع ثقافته وغزارة علمه وسعة اطلاعه في الشعر والأدب والقصة والنقد والتاريخ وأردت دراسته في محاولة لتطبيق هذا المصطلح ورؤية وجوده عنده.

وقد جاء البحث في: مقدمة ، وثلاثة مباحث ، ومصادر ومراجع .

المقدمة .

المبحث الأول : التناص .

المطلب الأول :مصطلح التناص. مفهومه ومتي بدأ وضابطه عند النقاد العرب.

المطلب الثاني: ظاهرة التناص والنقد العربي القديم. وفيه بينت أن هذه الظاهرة بمفهومها المعاصر كانت عند النقاد والمبدعين العرب القدامى.

المبحث الثاني: محمد محمود الخفيف.

المطلب الأول: حياته . وفيها اختصار عنه وعن نشأته ومراحل حياته.

المطلب الثاني: سماته البدنية والنفسية.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

المبحث الثالث: التناص عند الخفيف .

المطلب الأول : التناص الديني.

أولا : التناص مع القرآن الكريم.

ثانيا : التناص مع الحديث الشريف والسيرة النبوية.

المطلب الثاني: التناص التاريخي.

أولا : التناص مع التاريخ القديم .

ثانيا : تناصه مع التاريخ الإسلامي.

ثالثا : تناصه مع التاريخ الحديث والمعاصر.

المطلب الثالث: التناص الأدبي.

أولا : مع الأدب القديم.

ثانيا : مع الأدب الحديث والمعاصر.

المطلب الرابع : التناص الشعبي والأسطوري.

أهم المصادر والمراجع .

وهكذا انهيت البحث ، وأنا أسأل المولي تبارك وتعالي أن يكون موفقا ، مظهرا لما أحب أن اقوله وما اردت أن أوصله ، وإن كان فلله الحمد والمنة ، وإن كانت الأخرى فيكفيني شرف المحاولة وحسن المقصد...

والحمد لله أولا وأخرا ،،،

المبحث الأول

التنـاص

ويشتمل على مطلبين .

المطلب الأول :مصطلح التناص. مفهومه ومتي بدأ وضابطه عند النقاد العرب.

المطلب الثاني: ظاهرة التناص والنقد العربي القديم. وفيه بينت أن هذه الظاهرة بمفهومها المعاصر كانت عند النقاد والمبدعين العرب القدامى.

المطلب الأول

مصطلح التناص

من المصطلحات الحديثة التي تم التواضع عليها في مجال الدرس الأدبي والنقدي وخاصة بعد استفاضة الحديث عن البنيوية والأسلوبية ، وما قدماه من جديد ، سواء على مستوى الإبداع ، أو على مستوى التفسير ، وقد أصبح المصطلح صالحًا للتعامل مع النص القديم والجديد على حد سواء.

ومن الملاحظ أنه لم يكن هناك اتفاق بين رواد الأدب والنقد على مصطلح محدد ؛ فالبعض يرشح مصطلح (التناص) ، والبعض فضل (التناصية) أو (النصوصية) أو (تداخل النصوص) أو(التعالق النصي) ، ولكن رغم ذلك يظل أولها أكثرها شيوعًا.

وانتشارًا في مجال الدرس النقدي الحديث ، ولا شك أن دراسة النص كموضوع لغوي أكد وجود بنية لكنها بنية لا مركزها ولا تعرف الانغلاق.

ويعد التناص من الأساليب الشعرية والتقنيات الفنية التي استخدمها الشعراء المحدثون والمعاصرون على نطاق واسع، واحتفوا بها بوصفها ضربا من تقاطع النصوص الذي يمنح النص ثراء وغنى، مما يسهم في إعلاء بنيانه الجمالي في المقام الأول كما إنه" جزء من استراتيجية الانحراف القائمة على مغايرة اللغة الشعرية للخطاب الاتصالي النثري[1].

وقد ظهر مصطلح التناص في تاريخ النقد الأدبي تحديدا في منتصف الستينات من هذا القرن في أبحاث متفرقة، نشرتها الناقدة جوليا كرستيفا في

(١) قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية، عبد العزيز موافى، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، ٢٠٠٤م ، ص ٢٢٠

مجلتي تيل–كيل وكرتيك في فرنسا[١] ، ثم استثمرته من بعدها جماعة تيل كيل التي طرحت من خلاله صيغة النص المتعدد الذي "يتوالد في الآن عينه من نصوص عديدة سابقة عليه"[٢]، بينما كانت كريستيفا تدمجه مع كلمة أخرى هي Idéologème التي تعني لديها: "عينة تركيبية تدخل في تنظيم نصي مغطى بالتعبير المتضمن فيه أو الذي يحيل إليه". فيصبح التناص من وجهة نظرها هو "التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى"[٣]. وقد شاع تعريفها المحدد للتناص باعتباره التقاطع والتعديل المتبادل بين وحدات عائدة إلى نصوص مختلفة"[٤]. بينما يرى د. شجاع العاني أن شكلوفسكي يعد أول من أشار إلى التناص عندما قال: "إن العمل الفني يدرك في علاقته بالأعمال الفنية الأخرى وبالاستناد إلى الترابطات التي نقيمها فيما بينها"[٥]. ويعد زميله تشيتشرن أيضا من أوائل من أشار إلى المصطلح في دراسته عن الأساليب الأدبية بقوله: "مفهوم الأسلوب يفترض تاريخيا وجود التتابع والصراع والروابط المتبادلة بين الأساليب"[٦].

---

(١) حسين خمري، (إنتاج معرفة بالنص)، مقال في مجلة دراسات عربية، ع١١–١٢، السنة ٢٣ أيلول–تشرين أول ١٩٨٧، بيروت، ص ١٠٢.

(٢) مارك أنجينو، في أصول الخطاب النقدي الجديد، الفصل الخامس بمفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد، ت.أحمد المديني، ط١، ١٩٨٧، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص٩٩.

(٣) إنتاج معرفة بالنص، ص١٠٢.

(٤) د. شجاع العاني، (الليث والخراف المهضومة دراسة في بلاغة التناص الأدبي)، مقال في مجلة الموقف الثقافي، ع١٧، السنة الثالثة ١٩٩٨، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص ٨٤

(٥) الليث والخراف المهضومة، ص٨٢

(٦) خيرة حمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، منشورات اتحاد كتاب العرب، ١٩٩٦م، دمشق، ص١١٦.

وحاول بعدهم الكثير من الباحثين تعريف التناص بصورة أكثر تحديدا مثل "أرفي، لورانت، رفاتير، سولرس، جينيت" وغيرهم، لكن تعريفاتهم باختلافاتها غير المذكورة ظلت تحوم حول النقطة الجوهرية التي طرحتها كرستيفا المتعلقة بإنتاج النص وعلاقته مع النصوص التي سبقته. ويرى د. محمد مفتاح: أن كل تلك التعاريف لم تستطع صياغة تعريف جامع محدد للتناص محاولا استخلاص مقوماته على شكل نقاط من خلال تلك التعاريف في كتابه استراتيجية التناص. وقبل كرستيفا كان باختين في كتاباته المتأخرة قد تناول هذا المفهوم بطريقة أخرى وهو يعالج الشكل الحواري حيث كان يرى أنه مهما كان موضوع الكلام فإن هذا الموضوع قد قيل من قبل بصورة أو بأخرى". فهو يؤكد حتمية السقوط في دائرة التناص. ويرى تودوروف أن باختين يعتبر التناص "بعدا ضروريا وجوهريا في جميع أنواع الخطاب: المحادثة اليومية، القانون، الدين، العلوم الإنسانية" بينما يتضاءل دوره في العلوم الطبيعية، غير أن باختين يستخدم لهذا المفهوم مصطلح الحوارية بدلا من التناص "للدلالة على العلاقة بين أي تعبير والتعبيرات الأخرى"[1]، على العكس من نورثورب فراي الذي سعى إلى نبذ أي تاريخ باستثناء تاريخ الأدب، فالأعمال الأدبية عنده "مصنوعة من أعمال أدبية أخرى وليست من أية مادة خارجة عن النظام الأدبي نفسه"[2]. فهو ينظر إلى الأدب كما يشير تيري إيجلتن على أنه "دوران بيئي مغلق للنصوص". هذا المفهوم الرئيسي لمصطلح التناص الحديث يجعلنا نتعامل معه باعتباره ظاهرة قديمة شهدها تاريخ الحقل الأدبي، بل إنها أصبحت قانونه الطبيعي

(١) تودوروف، المبدأ الحواري، ت. فخري صالح، ط١، ١٩٩٢، بغداد، ص٨٢-٨٥.

(٢) تيري إيجلتن، مقدمة في النظرية الأدبية، ت. إبراهيم العلي، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٢م، ص ١٠٢

الذي لا مفر منه للنصوص المستقبلية، فهي أحد شروط الإنتاج الأساسية للعمل الأدبي التي سنمنحها مصطلح التناصية.(١)

وكما ذكرنا أن جوليا كرستيفيا تلميذة العالم الروسي باختين ، أول من تنبه إلى قضية التناص Intertextuality في دراستها لثورة اللغة الشعرية، حين رات أن" كل نص يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى(٢).

ثم التقى حول هذا المصطلح عدد كبير من النقاد الغربيين الذين ذكرنا أهمهم وتوالت الدراسات حول التناص وتوسع الباحثون في تناول هذا المفهوم وكلها لا تخرج عن هذا الأصل، وقد أضاف الناقد الفرنسي" جيرار جينيت "لذلك أن حدد أصنافا للتناص كالاستشهاد وهو الشكل الصريح للتناص، والسرقة وهو أقل صراحة، ثم النص الموازي، والوصف النصي، والنصية الواسعة وهي علاقة الاشتقاق بين النص القديم والحديث، ثم النصية الجامعة(٣).

وقد أضاف النقاد العرب المعاصرون الكثير من الإضافات حول مصطلح التناص، فقد عرّفه الدكتور. خليل الموسى بقوله :" مصطلح سيميولوجي وتفكيكي معًا، يذهب أصحابه وفي مقدمتهم "كريستيفا" "وبارت وجينيت"، إلى أن أي نص يحتوي على نصوص كثيرة، نتذكر بعضها ولا نتذكر بعضها الآخر، وهي نصوص شكلت هذا النص الجديد، فالكتابة نتاج لتفاعل عدد كبير من النصوص المخزونة

(١) ماهية التناص: قراءة في إشكاليته النقدية ، عبد الستار جبر الأسدي ، (بحث علي شبكة المعلومات الدولية) http://www.aljabriabed.net/n28_09fikrassad.htm

(٢) علم النص، جوليا كرستيفا، ترجمة :فؤاد الزاهي، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط ١ن ١٩٩١م، ص ٧٩.

(٣) ينظر :الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، محمد بنيس، المغرب ، دار توبقال، ط ١ ج ٣، ص: ١٨٦.

في الذاكرة القرائية، وكل نص هو حتما نص متناص، ولا وجود لنص ليس متداخلًا مع نصوص أخرى[١].

وقد ركز بعض النقاد علي تأثير القراءات القديمة للمبدع في إبداعه أولا لأثرها في إبداعه ثانيا ليفروا من الاتهام بالسرقة فجعلوا التناص يخضع لطبيعة غير واعية فهم" يعتقدون أن التناص ذو طبيعة لا واعية فقط لأنه نتاج القراءة الأثرية المطموسة في أعماق الكاتب"[٢]. يقول د. عبد الملك مرتاض: "التناص هو الوقوع في حال تجعل المبدع يقتبس أو يضمن ألفاظا وأفكارا كان التهمها في وقت سابق ما دون وعي صريح بهذا الأخذ المتسلط عليه من مجاهل ذاكرته ومتاهات وعيه"[٣]، ويشاركه الرأي د. خليل الموسى في تعريفه للنص الغائب: "يمتص ويتحول ويذوب ولا يعود له إلا وجود إيحائي، فإذا زاد وجوده على ذلك خرج عن حدود التناص والإبداع إلى حدود التأثر والتأثير والمحاكاة والتقليد لأن حضور الأصل يظل مطموسا وطاغيا".[٤]

ولم يتوقف النقد المعاصر عند حدود المصطلح الحديث والظاهرة القديمة بل جهد في تأسيس خطوة عملية وفي تحويل التناص إلى طريقة أو منهج إجرائي له أدوات ووسائل تحليلية تساعد الناقد أو القارئ المتخصص في كشف البنى التحتية للنصوص وتعرية دواخلها، حيث يقوم بعدة عمليات إجرائية مختلفة بينها د. خليل

(١) قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، خليل الموسى ، دمشق، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب ٢٠٠٠م ، ص: ١٣٣.

(٢) ماهية التناص: قراءة في إشكاليته النقدية ، عبد الستار جبر الأسدي ، (بحث علي شبكة المعلومات الدولية)http://www.aljabriabed.net/n28_09fikrassad.htm

(٣) التناص والأجناسية، ص٨٣-٨٤.

(٤) التناص والأجناسية ، ص٨٢

الموسى وهي: "الاستدعاء القصدي أو اللاقصدي التغايري أو التوافقي، والامتصاص الإسفنجي الموظف، والتداخل، والتحويل"(١).

أما الدكتور: محمد مفتاح فيقول في تعريفه" :التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة(٢) ، كما يرى فيه ظاهرة لغوية معقدة يصعب ضبطها وتقنينها، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي ومعرفته الواسعة وقدرته على الترجيح مع الاعتماد على مؤشرات في النص تجعله يكشف عن نفسه.(٣)

وحاول د. محمد مفتاح تفصيل العملية الاجرائية ضمن تسميته لها بآليات التناص كالتداعي بقسميه التراكمي والتقابلي وبتفرعاته كالتمطيط بأشكاله المختلفة والتي من أهمها:

١- الأناكرام (الجناس بالقلب والتصحيف).

٢- الباكرام (الكلمة- المحور)، وكالشرح والاستعارة والتكرار، ثم الإيجاز المضاد للتمطيط(٤)... وهي عمليات أركيولوجية (دراسة الآثار القديمة) تتغلغل في حفريات النص وبواطنه العميقة، تدرس نسيجه الفني وعلاقاته الداخلية. ويرى أحد النقاد المعاصرين أن التناص، مفتاح لقراءة النص، لفهمه، لتحليله، لتفكيكه وإعادة تركيبه لمعرفة كيف ثم إنتاج الخطاب"، حيث يؤكد على ضرورة استخراج المصادر

(١) التناص والأجناسية ، ص٨١.

(٢) تحليل الخطاب الشعري" استراتيجية التناص"، محمد مفتاح ، الدار البيضاء، دار التنوير للطباعة والنشر، ط ١ ، ١٩٨٥م ، ص: ١١٩.

(٣) تحليل الخطاب الشعري" استراتيجية التناص"، محمد مفتاح ، الدار البيضاء، دار التنوير للطباعة والنشر، ط ١ ، ١٩٨٥م ، ص: ١٢١.

(٤) د. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، دار التنوير، ط١، ١٩٨٥، بيروت، ص١٢٥.

اللاواعية للنص، لأنها ستمكن الناقد من "ربط سياق النص الذي هو موضوع التحليل بسياق الثقافة التي تشكل النص في إطارها"[١]. ويشاركه ناقد آخر الر وٍيا التي تضيف إلى مهام النقد مهمة جديدة هي البحث في مصادر النص، وفي وسائل التوظيف والاستشهاد أو ما يسمى بالتضمين أو استخدام التنصيص الذي هو طريقة من طرائق ربط نص بنص آخر وإدماجه في سياقه"[٢].

كما عرّفه محمود جابر عباس بإسهاب بأنه "اعتماد نص من النصوص على غيره من النصوص النثرية أو الشعرية القديمة أو المعاصرة الشفاهية أو الكتابية العربية أو الأجنبية ووجود صيغة من الصيغ العلائقية والبنيوية والتركيبية والتشكيلية والأسلوبية بين النصين" . [٣]

ويرجع ناصر جابر شبانة التناص إلى صيغته الصرفية ليشتق منها معناه فيقول:" والتناص صيغة صرفية على وزن (تفاعل)، بما تحمله هذه الصيغة الاشتقاقية من معاني المشاركة والتداخل بما يعني تداخل نص في نص آخر سابق عليه، ليمسي لدينا نصان: نص سابق، ونص لاحق، بينهما علاقة خاصة قد تبدأ بالمسّ الرقيق وتنتهي بالتمازج الكلي حتى يبدو الفصل بينهما أمر في غاية الصعوبة[٤]

(١) أصول الخطاب النقدي الجديد، ص٨٢-٩٩.

(٢) حسين خمري، (إنتاج معرفة بالنص)، مقال في مجلة دراسات عربية، ع١١-١٢، السنة ٢٣ أيلول-تشرين أول ١٩٨٧، بيروت، ص ٨٤

(٣) استراتيجية التناص في الخطاب الشعري العربي الحديث، علامات في النقد، محمود جابر عباس، نادي جدة الأدبي، جدة، شوال ١٤٢٣هـ ، ص:٢٢٦.

(٤) التناص القرآني في الشعر العماني الحديث"، ناصر جابر شبانة، عمان، مجلة جامعة النجاح للأبحاث" العلوم الإنسانية"، المجلد٢١، ع ٤، ٢٠٠٧م، ص: ١٠٨٠.

ويعرف الدكتور. عبد الملك مرتاض فكرة التناص بأنها "تبادل التأثر والعلاقات بين نص أدبي ما ونصوص أدبية أخرى"، ويؤكد بأن هذه الفكرة كان النقد العربي قد عرفها بصورة تفصيلية تحت باب السرقات الشعرية. فالتناص عنده عبارة عن "حدوث علاقة تفاعلية بين نص سابق ونص حاضر لإنتاج نص لاحق"(١).

وتعريفات التناص كما بينها النقاد كثيرة جدا ومتشعبة وكلها تدور حول جوهر التناص الذي يصب في النهاية في كونه تأثر بنص سابق، وبذلك تمسي القصيدة "ليست كتابة بل إعادة كتابة(٢) "، وبهذا المفهوم يمسي كل نص يمثل نوعا من التناص" لأن النص الجديد يقوم بهضم النصوص التي سبقته وتمثلها وتحويلها" (٣) ولذلك قالوا بحتمية التناص" إن التناص أمر لابد منه وذلك لأن العمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة تماما مثل الكائن البشري، فهو لا يأتي من فراغ كما أنه لا يفضي إلى فراغ، إنه نتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث أدبي، وهو بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه"(٤)، إن القائلين بهذا الرأي ينفون أن يكون أي نص نتاجا خالصا للشاعر، أو أن تكون لغته نقية تماما من أثر لغة الآخرين، لأن اللغة هي نتاج تعالق وتواشج مع لغات الآخرين وخبراتهم وثقافتهم. وعلى الرغم من أهمية التناص كونه يسعى إلى تخصيب النصوص وتلقيحها بثقافات وإشارات تنتشلها من السطحية وتحلق بها في آفاق أعمق من الجدة وذكاء

(١) د. خليل الموسى، (التناص والأجناسية في النص الشعري)، مقال في مجلة الموقف الأدبي، ع٢٠٥، أيلول ١٩٩٦، السنة ٢٦، دمشق، ص٨٣.

(٢) الخروج من التيه دراسة في سلطة النص، عبد العزيز حمودة، الكويت، عالم المعرفة، ط٣، ٢٠٠٣م، ص:٢٠١.

(٣) ماهية النص، عبد الستار ألأسدي، مجلة الرافد، الشارقة، ع ٣١ ،٢٠٠٠م ، ص: ١٤.

(٤) ثقافة الأسئلة مقالات في النقد والنظرية، عبد الله الغذامي ، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ط ٢، ١٩٩٢م، ص:١١١.

التأويل[١] ، إلا أنهم يجمعون على أنه" لا يعني أن يقوم الشاعر بإعادة معاني الشعراء السابقين أو اجترار تراكيبهم، بل عليه أن يحدث في تلك المعاني والأبنية إضافاته وتحويراته الخاصة ليجعل منه جزءا من رؤياه الشخصية إزاء الكون والشعر والحياة وعنصرا من عناصر نبرته وأسلوبه[٢].

فالتناص في المفهوم الحديث لا يعني مجرد اجترار للنصوص أو امتداد أفقي لها، وإنما يقوم أصلا على فتح حوار مع النص بهدف توظيفه وإعادة إنتاجه، وربما برؤية مختلفة قد تنتهي به إلى حد المفارقة[٣].

ومن خلال الأقوال السابقة يمكن أن نستنتج أن التناص يعني:

- توالد النص من نصوص أخرى.
- تداخل النص مع نصوص أخرى.
- النص خلاصة لما لا يحصى من النصوص.
- انبثاق النص عن نصوص أخرى.
- تعالق النص (أي : الدخول في علاقة) مع نصوص أخرى.
- لا حدود للنص أو لا حدود بين نص وآخر.

لقد سعى الكثير من النقاد المعاصرين إلى وضع التناص في تقسيمات ثنائية وثلاثية لتحديد أبعاده والإلمام بطرائقه، ومن التقسيمات الثلاثية للتناص ما قام به

(١) تخصيب النص، محمد عمّان الجزائري، أمانة عمان الكبرى، ط ١ ، ٢٠٠٠م ،ص:٢٥.

(٢) الدلالة المرئية، علي جعفر العلاق، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،ط.١ ،٢٠٠٢م، ص:٦٥.

(٣) ينظر: التناص في القصيدة الحديثة"، عبد المنعم عجب الفيا، الكويت، البيان، رابطة الأدباء، ع ٣٥٥ ، ص: ٣٦.

كل من كريستفيا وجان لوي هودبين بملاحظتهما أن للتناص أو لإعادة كتابة النص الغائب ثلاثة قوانين هي:

١- الاجترار: عملية إعادة كتابة النص الغائب بوعي سكوني وتمجيد بعض المظاهر الشكلية الخارجية.

٢- الامتصاص: عملية إعادة كتابة النص الغائب وفق حاضر النص الجديد ليصبح استمرارا له متعاملا معه بمستوى حركي وتحولي.

٣- الحوار: عملية تغيير النص الغائب ونفي قدسيته في العمليات السابقة.(١)

بينما حصر جينيت في كتابه: استراتيجية الشكل. التناص في ثلاثة أصناف وهي:

"١- التحقيق: إنجاز معنى أو مضمون كان في تراث النصوص السابقة يشكل وعدا.

٢- التحويل: أخذ معنى والذهاب به إلى أبعد مما هو عليه.

٣- الخرق: التجاوز على معنى ما والتضاد والتناقض معه(٢).

واشتهر تقسيم ثنائي للتناص هو:

١- الظاهر أو الصريح.

٢- المستتر.

لكن د. شجاع العاني آثر أن يرفده بضلع ثالث هو:

---

(١) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، ط٢، ١٩٨٥م ، دار التنوير بيروت، ص ٢٥٣

(٢) الليث والخراف المهضومة، ص٨٥.

٣- نصف المستتر ويعني به "النوع الذي يلمح له المؤلف تلميحا لا تصريحا، وغالبا ما يتم هذا التلميح في عنوانات النصوص وبطريقة مموهة"[١]، غير أن د. شجاع يعود إلى الرؤيا الثنائية التي يلاحظها في طبيعة التناص، حيث يرى أن هناك تناصا داخليا يعيد فيه الكاتب إنتاج ما سبق أن كتبه، وتناصا خارجيا يعيد فيه إنتاج ما أنتجه غيره[٢]، فهو يضع الكتابة في محيط مغلق ذو دائرتين متداخلتين، وهو أيضا لا يكتفي بهذا التقسيم، فينظر إلى التناص من زاوية أخرى تحيله إلى فرعين هما: التناص غير الواعي، والتناص الواعي، ويعتبر الأول هو المهيمن على النصوص أكثر من الثاني، فيضفي بعدا نفسيا في عملية إنتاج النصوص أما د. محمد مفتاح فيشير إلى وجود تناصين: الأول- العشوائي وهو الذي تغيب فيه الإحالة، والثاني- الواجب وهو الذي ينطوي على إحالة صريحة[٣]، وهو نفس التقسيم الذي أضاف له د. شجاع فرعا ثالثا ليمنحه دقة موضوعية. وهناك تقسيم مشترك بين فورلشينوف وباختين للتناص إلى: خطي – وهو الذي يقترب من التضمين والاقتباس بوجود الإحالة أو غيابها، وتصويري- وهو مستتر يخفي النص الغائب في نسيجه[٤]، وهو أيضا لا يختلف عن التقسيم السابق في طبيعة الإشارة، والفارق هو اختلاف المسميات.

وهناك من النقاد من يخلط بين التناص والاقتباس والتضمين،" فأحمد الزعبي " يعرّف التناص بقوله ":أن يتضمن نص أدبي ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي

(١) الليث والخراف المهضومة، ص٩٦.

(٢) الليث والخراف المهضومة، ص٨٣-٨٤.

(٣) الليث والخراف المهضومة، ص٩٦

(٤) الليث والخراف المهضومة، ص٩٦

لدى الأديب بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل[١]" أما" تركي المغيض "فيرى أن التناص يظهر من خلال كل من(الاقتباس، والتضمين)، إذ يجعل من الاقتباس والتضمين شكلين من أشكال التناص.

فالاقتباس عنده : شكل من أشكال التناص، واستلهام وامتصاص لنص قرآني أو تحويل وتغيير لسياقه ونقله إلى سياق ونسق شعري جديدين. أما التضمين : فيرى فيه شكلًا آخر، ليس شرطًا أن يكون بيتًا أو شطرًا وإنما قد يكون جملة شعرية من بيت، يضمنها الشاعر حسب السياق النفسي للموقف والسياق المعنوي للبيت[٢].

وهناك فرق بين التناص والاقتباس أو التضمين، فقد" تتعدد أشكال التناص حتى ليتخطى فكرة الاقتباس، ويتفوق عليها، فإذا كان الأول يعني اقتطاع النص السابق والزج به في النص اللاحق دون أن يتفاعل مع جزئياته أو يتحد معها؛ فإن التناص يسعى إلى إنشاء علاقة ما بين النصين فريدة وحميمة قد تبدأ بالإشارة العابرة اللاواعية، وتنتهي عند إحاطة القارئ بمناخ دلالي يدفع به نحو قراءة

(١) التناص نظريا وتطبيقيا، أحمد الزعبي، عمّان، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ط٢ ٢٠٠٠م ،ص:١١.

(٢) ينظر: التناص في نماذج من الشعر المغربي المعاصر، تركي المغيض ، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، مجلد ٢٠، ع ١ ، ٢٠٠٢م ، ص: ٩٤ وما بعدها.

تأويلية تقوم على التفكيك وإعادة البناء[١]" ومن هنا فقد فرّق أحد الباحثين بين الاقتباس والتناص فقسمهما إلى[٢]:

التناص الظاهر: ويدخل ضمنه الاقتباس والتضمين ويسمى أيضا التناص الواعي أو الشعوري.

التناص الخفي: ويكون فيه المؤلف غير واع بحضور نص في النص الذي يكتبه، ويسمى أيضا بالتناص اللاشعوري.

وهذا التقسيم لا يبعد كثيرا عن تقسيم الاقتباس إلى مباشر وغير مباشر، أو نصي واشاري، ومع تعدد التعاريف والتقسيمات للتناص، يمكننا القول إن التناص ظاهرة شائعة بكثرة في الشعر الحديث والمعاصر، قد تحدث بصورة واعية ومتعمدة من لدن الشاعر، أو تحدث بصورة عفوية غير مقصودة، عن طريق تراكم الخبرات القرائية السابقة، على أن يتم توظيفه بصورة جيدة تخدم النص وتزيد من عمق إيحاءاته .أما التضمين أو الاقتباس، فيتعمدهما الشاعر إذ يوظفهما في شعره لأغراض منها الإيجاز والاختصار عن التطويل والحليم تكفيه– الإشارة ، أو أن يأتي على سبيل التمثيل أو– الاستشهاد، لدعم أفكاره ومعانيه.

ولعل التصنيف الأهم للتناص والذي سنعتمده في تحليل نصوص شعراء المجلة، هو ما نبّه إليه أحد الباحثين بقوله":أحب أن أذكّر بحقيقة مهمة فقد قدم النقاد تصنيفات كثيرة للتناص، فتحدث بعضهم عن التناص الواعي والتناص غير الواعي، وكذلك التناص القائم على التحقيق، وغيره القائم على الخرق، وتناص

(١) من معالم الشعر الحديث في الأردن وفلسطين، إبراهيم خليل، دار مجدلاوي ،عمّان، ط ١، ٢٠٠٦م ،ص: ١٦٣.

(٢) التناص بين الاقتباس أو التضمين والوعي واللاشعور، نجم مفيد، الشارقة، ملحق بيان الثقافة، جريدة الخليج، ع ٥٥ ، يناير ٢٠٠١ م، ص:٢ .

التضاد وتناص التناقض، لكنهم في كل ذلك لم يفطنوا إلى التصنيف الأهم المرتبط بالبعد الجمالي والتقويم الكلي للنص، وهو ما يدعونا إلى التمييز بين ضربين من التناص هما:التناص الجيد والتناص الرديء" (١)

ومن هنا فقد استخدم شعراء مجلة الأدب الإسلامي التناص والاقتباس في أشعارهم، ومن منطلق الإسلامية في الأدب وكون هؤلاء الشعراء ينتمون للتيار الإسلامي في الشعر، فضلا عن كونهم مسلمين بالدرجة الأولى، فقد كان للإسلام ومصادره دور في ثقافة هؤلاء ونظرتهم للإنسان والحياة والكون من زاوية التصور الإسلامي، لذلك كان من الطبيعي أن يكون للقرآن الكريم والحديث الشريف الأثر الأكبر في تناصهم واقتباسهم، ثم تليهما المصادر الأخرى من الشعر العربي قديمه وحديثه، فضلا عن بعض المقولات التراثية لمشاهير العرب والمسلمين، وهذا ما سنبينه في تحليلنا لظاهرة الاقتباس والتناص عن شعراء المجلة، فمنها ما كان متصلًا بالقرآن الكريم، ومنها ما كان متصلا بالحديث النبوي الشريف، ومنها ما كان متصلا بالشعر العربي القديم والحديث، ومنها ما كان متصلا بالتراث.

(١) التناص القرآني في الشعر العماني الحديث، ناصر جابر شبانة، مصدر سابق، ص:١٠٨٤.

المطلب الثاني

ظاهرة التناص و النقد العربي القديم

يبدو أن الإحساس بهذه الظاهرة الفنية كان موجودًا من وقت مبكر عند المبدعين والنقاد ، حيث ترددت بعض مقولات تشي بعملية التداخل الدلالي على نحو من الأنحاء ، ويرى صاحب العمدة .

– في هذا السياق – مقولة علي رضي الله تعالى عنه" : لولا إن الكلام يعاد لنفد[1] "، تأكيدًا لمقولة فنية رددها عنترة في قوله:

هل غادر الشعراء من متردم ∴ أم هل عرفت الدار بعد توهم

ولا شك إن النقد العربي القديم قد تنبه إلى ظاهرة التناص ، وخاصة في الخطاب الشعري ، فابن خلدون يرى أن الشاعر الذي يقل حفظه للأشعار الجيدة ليس شاعرًا وإنما ناظمًا ضعيفًا ، وأولى لمن لم يكن له محفوظ من الشعر الجيد أن ينكب عن قول الشعر إذ لا ينبغي له أن يكون شاعرًا كبيرًا وأديبًا بارعًا إلا بعد الانتهاء من الحفظ ، وشحذ القريحة للنسج على الموال.

ويقرر" ابن خلدون " أن شروط امتلاك الأدوات الشعرية الراقية نسيان النصوص المحفوظة حتى تمحي رسومها" الحرفية الظاهرة ، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها ؛ انتقش الأسلوب فيها ، كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه من أمثالها ، ولعلنا نستشف من قول ابن خلدون هذا إشارات إلى ظاهرة التناص إذ أنها أثر من آثار القراءة والمثاقفة.

---

(١) ينظر :العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، ص: ٥٤، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، (الخامسة)، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

ويرى" عبد الملك مرتاض "أن ابن خلدون يصطنع بوعي عجيب مصطلح نسيان المحفوظ ؛ وهو الذي يدعوه رولان بارت " تضمينات من غير تنصيص ." فنسيان النص يفضي إلى كتابة نص أصيل من وجهة ، ونص جيد إذا المحفوظ المنسي هو أيضًا جيدًا – من وجهة أخرى – فليس التناص في تصورنا إلا حدوث علاقة بين نص سابق ، ونص حاضر ، لإنتاج نص لاحق ،

فقراءة النصوص السابقة في تصور النقاد والسيميائيين ، وحفظ هذه النصوص ونسيانها في تصور ابن خلدون هما أساس فكرة التناص ، فالمخزون من النصوص المقروءة أو المحفوظة المنسية من قبل هو الذي تتحكم غالبًا في صفة النص المكتوب.

وعندما نبحث في تراثنا الأدبي نجد مجموعة من المصطلحات والمفاهيم التي تدقق في جزيئات تداخل النصوص، وتحاول أن تضعه داخل إطار اصطلاحي يميزه عما سواه . ف"الاقتباس "مثلا يمثل شكلا تناصيًا ، يرتبط فيه المدلول اللغوي – هو اقتباس الضوء – بالمفهوم الاصطلاحي الذي يتمثل في عملية" الاستمداد " التي تتيح للمبدع أن يحدث انزياحًا محدودًا في خطابه بهدف إضافة لون من القداسة على جانب من صياغته بتضمينه شيئًا من القرآن أو الحديث النبوي ، وهنا يجب أن يكون في الوعي عملية القصد النقلي.

وهناك ما يعرف في أدبنا العربي ب "التضمين " وهذا الضرب يدخل ضمن التناص حيث يتم التداخل مثلا بين نصين شعريين ، وتجب الإشارة إلى النص الغائب إذا لم يكن واضحًا للمتلقي ، ويكون هناك تدرج في الاستعانة بالنص الغائب حيث يكون الاتكاء عليه باقتطاع جزء من البيت أو البيت الكامل ، وقد يكون أكثر من بيت ، ويجب أن يلاحظ مستوى الوعي لدى المتلقي ، فإن كان حضور النص الغائب له شهرة ، كفت في إعلان عملية التداخل وإلا فإن الأمر يقتضي نوعًا من

الإشارات للتنبه إليها . وهذا هو الفارق الذي يميز بين التضمين وبين دائرة تناصية أخرى هي" السرقات "التي نالت من المؤلفين العرب اهتمامًا كبيرًا في معظم مؤلفاتهم الأدبية.

وهناك ظاهرة تناصية أخرى هي" التلميح "وطبيعة التلميح تعتمد على صدور إشارات من النص الحاضر إلى النص الغائب ودون استحضاره مباشرة ؛ وهذه الإشارات إن ترتد إلى" قصة " أو "شعر "أو ما أشبه ذلك.

ليس هذا فحسب هناك" النقائض "و"المعارضات "يمكن أن تدخل في دائرة التناص . إذ أن التناص ما هو إلا تعالق النص ؛ أي " " علاقة تداخل بين النصوص. "

ويشير الآمدي إلى تداخل النصوص خلال" موازنته " بين البحتري وأبي تما ويرفض ادعاء الأخذ بشكل مطلق؛ لأنه غير ممكن وغنما المسألة أنه كان يرد على سمع البحتري أبيات من شعر أبي تمام فيتعلق معناها بقصد أو بغير قصد ، وهذا التعلق له مستويان إذ يكون أحيانًا بعناصر دلالية أو صياغية يشترك الناس فيها ، وتقع عليها طباع الشعراء ، وأحيانًا يكون بـ "البديع "الذي ليس للناس فيه اشتراك.

ولا شكل أن طبيعة الإبداع في تلك المرحلة المبكرة كانت تهيئ لهذه الظاهرة أن تأخذ طريقها إلى الخطاب الشعر حيث كانت العرب تروي وتحفظ ، ويعرف بعضها برواية بعض.

وما أرى قول الآمدي هنا عن تعلق معنى النص في النفس ثم تداخلها في النتاج الشعري بقصد أو بغير قصد إلا إشارة مبكرة إلى ظاهرة تداخل النصوص ، ومن أجمل النصوص التراثية وأكثرها دلالة على معرفة النقاد العرب القدامى لظاهرة التناص ؛ ما أورده الحاتمي ي حلية الحاضرة إذا يقول" : وسمعت أبا الحسن علي بن أحمد النوفلي يقول : سمعت أحمد بن أبي طاهر يقول: كلام العرب ملتبس

بعضهم ببعض ، وخذ أواخره من أوائله . والمبتدع منه والمخترع قليل ، إذا تصفحته وامتحنته . والمحترس المتحفظ المطبوع بلاغة وشعرًا من المتقدمين والمتأخرين لا يسلم أن يكون كلامه آخذًا من كلام غيره ، وإذا اجتهد في الاحتراس ، وتخلل طريق الكلام ،وباعد في المعنى ، وأقرب في اللفظ ، وأفلت من شباك التدخل ، فكيف يكون ذلك مع التكلف المتصنع والمعتمد القاصد. "

وإني أرى هذا القول من أدل الأدلة على معرفة العرب لتداخل النصوص ، وكل جملة في هذا النص تدل على ذلك ؛ وما قوله " أفلت من شباك التداخل " إلا إشارة إلى تداخل النصوص.

وأنا على يقين لو عرف الغربيون هذه النصوص ،وأمعنوا النظر فيها لعرفوا قدرها ، وتبينوا ما للنقد العربي من أسبقية في معرفة هذه الظاهرة المعروفة ب "التناص[١] ".

وأيضا بمفهوم التناص وهو التداخل وإعادة بناء النص نقول : قد استخدم كثير من شعراء الأدب الإسلامي التناص والاقتباس في أشعارهم، وظهر ذلك جليا في مجلة الأدب الإسلامي كمثال واضح، ومن منطلق الإسلامية في الأدب وكون هؤلاء الشعراء ينتمون للتيار الإسلامي في الشعر، فضلا عن كونهم مسلمين بالدرجة الأولى، فقد كان للإسلام ومصادره دور في ثقافة هؤلاء ونظرتهم للإنسان والحياة والكون من زاوية التصور الإسلامي، لذلك كان من الطبيعي أن يكون للقرآن الكريم والحديث الشريف الأثر الأكبر في تناصهم واقتباسهم، ثم تليهما المصادر الأخرى من الشعر العربي قديمه وحديثه، فضلا عن بعض المقولات التراثية لمشاهير العرب والمسلمين، وهذا ما سنبينه في تحليلنا لظاهرة الاقتباس والتناص عن شعراء المجلة، فمنها ما كان متصلًا بالقرآن الكريم، ومنها ما كان متصلا

(١) التناص آفاق التنظير وآليات التطبيق ،د.خالد بن ربيع بن محمد الشافعي ،ص:٦ .

بالحديث النبوي الشريف، ومنها ما كان متصلا بالشعر العربي القديم والحديث، ومنها ما كان متصلا بالتراث.

وكما كان للاقتباس في أشعارهم مكان، كان للتناص مع هذه المصادر الأربعة النصيب الأوفر في أشعارهم؛ لكون التناص يسري في عروق الشعراء ووجدانهم بوعي أو غير وعي ؛ لأنه جزء من ثقافتهم ومن رؤيتهم للإنسان والحياة والكون.

المبحث الثاني
محمد محمود الخفيف

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: حياته . وفيها اختصار عنه وعن نشأته ومراحل حياته.

المطلب الثاني: سماته البدنية والنفسية.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

المطلب الأول

حياته [1]

بتاريخ ١٩٠٩١١١٣م ولد الأستاذ محمد محمود الخفيف ببلدة الشهداء بمديرية المنوفية .وفى الرابعة من عمره التحق بكتاب القرية ، وقد ظهرت عليه علامات الذكاء وهو لا يزال طفلا .وحفظ القرآن وهو فى الثامنة من عمره.

– وقد سجل ذكرياته عن طفولته فقال .

كم رتل الآيات فى مقعد ∴ فيه وكم باهى بما يكتب

أجرت له الفصحى به كوثرا ∴ معينه فى القلب لا ينضب

وجه إلى التعليم الأزهري بمدرسة حسن باشا ماهر بالقلعة لمدة سنتين ،ثم التحق بالمدارس الأميرية فالتحق بمدرسة خليل أغا الابتدائية ، وقد تفوق على زملائه فى المدرسة وقد عبر ذلك فى قصيدة عند الثلاثين :

ما كاد يخطو لعلا خطوة ∴ حتى شأى الأقران في درسه

السبق من عادته طعمه أشهى ∴ من الشهد إلى نفسه

فى حلبه العلم مضى سابقا ∴ يستقبل اليافع من سنه

ما أوهن الجهد له عزمه ∴ فى سهل ما يطوى وفى حزنه

(١) هذا المبحث اختصار شديد لدراسة عن الخفيف مطبوعة كجزء من ديوانه والمعنون: محمود الخفيف ديوان شعر .والدراسة ل: علي محمد محمود الخفيف ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م.

التحق بمدرسة فاروق الثانوية وفيها تفتحت موهبته الأدبية كما عبر عن ذلك :

أحب ما منى به نفسه ∴ أشاد تغار الطير من لحنه
مقدم في قومه شاعر ∴ السحر والإعجاز في فنه

التحق بمدرسة المعلمين العليا عام ١٩٢٨م وتخرج منها عام ١٩٣١ وكان التفوق حليفا له طوال دراسته وكان أول دفعته.

وقد عمل بعد تخرجه مدرسا للتاريخ بالقسم الثانوي في المعاهد الدينية التابعة للأزهر الشريف فى أكتوبر سنة١٩٣١م وبد أن أمضى أربع سنوات في هذه المعاهد نقل إلى وزارة المعارف وعمل مدرسا للتاريخ بمدرسة شبرا الثانوية عام ١٩٣٥م.

ونظرا لامتيازه رقى مدرسا أول ١٩٤٢م مع بقائه بالدرجة السادسة الوظيفية – نقل إلى مدرسة سوهاج الثانوية حيث ظل بها عاما كاملا وخلال هذه الفترة بدأ يكتب عن عرابي في مجلة الرسالة .

وحين تظلم من عدم ترقيته إلى الدرجة الوظيفية الأعلى – الخامسة– أسوة بزملائه نقل إلى مدرسة سوهاج الثانوية عام١٩٤٤م. غير أن الحقيقة هي أن النقل كان إرهابا له على كتابته عن أحمد عرابي .

وقد عاد بعد ذلك إلى القاهرة مدرسا أول بالمدرسة التوفيقية ثم بمدرسة مصر الجديدة الثانوية .

وفى عام ١٩٤٩م عين مديرا لإدارة التعاون الثقافي الشرقي بوزارة المعارف – وظل يتولى هذا المنصب حتى ندب في ١٩٥٢/٤/١٧سكرتيرا للتحرير لمجلة الأزهر الشريف .

وفى عام ١٩٥٥م سافر في بعثة إلى لندن لإعداد المعلمين وتدريبهم ،وبعد أن عاد عمل مفتشا أول للمواد الاجتماعية بوزارة المعارف وكلف من قبل الوزارة بإعداد كتابين لتصحيح تاريخ نصر القومي بعد الثورة ، وفى ١٩٦١/١٠/٢٩م عين ناظرا للمدرسة الإبراهيمية الثانوية وتوفى إلى رحمة الله بعد شهور قضاها في هذا المنصب . ولم يكن قد تجاوز الخمسين بكثير .

المطلب الثاني
سماته البدنية والنفسية

وقد كان– رحمه الله–

– طويل البدن من غير اسراف ، ريان البدن في غير امتلاء وسيم المحيا

– يلمح النيل في نفسه من خلال عينين واسعتين اللتين كانت مضرب المثل في حدة البصر.

– يبدو عليه قوة العزم وإباء الطبع وصرامته وجرأة قلبه في سداد نظراته

– زكى الفؤاد في كل ما يطلب منه من عمل .

– يشارك أهله في جميع الأمور دون ما تصنع فى لفته.[١]

– لا ينزع كثيرا إلى اللهو بل يأخذ نفسه مأخذ الجد وينكر على أصحابه جنوحهم إلى اللهو والعبث والمجون :

ومجون الرفاق حولي ضوضاء صداها فيه عذاب لنفس[٢]
إن دعاني للهو بعض صحابي ∴ واستخفتهموا نوازى الشباب
فأنا فيهم الضحوك الذى يخفي ∴ في الصحب غاشيات العذاب

– كان جريئا لا يطيق أن يرى مخلوقا في موطن الضعف أو المذلة ، يتعاطف مع الناس كبيرهم وصغيرهم في مواقف الشدائد والملمات .

(١) رسالة الماجستير للأستاذ الدكتور محمد العباسي متولى العباسي

(٢) قصيدته من نوازى القلب مجلة الرسالة العدد ٣٩٤/٦/١٤١ص٧٧

– تعلق ببلدته الشهداء – منوفية وانعكس أثرها على نتاجه الأدبي شعرا ونثرا يقول فى قصيدته عن الثلاثين :

ومجـون الرفـاق حـولي ضوضـ ∴ اء صـداها فيـه عـذاب لـنفس[1]
كـم عـاد للقريـة فـي لهفـة ∴ للعـيش فـي أكنافهـا الواسـعة
والصـيف فـي أنحائهـا رائـع ∴ باتـت بـه أمسـاؤها رائعـة

– ويقول الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة "ولصديقي الوفي ولع عجيب فصباه عرائس في شعره ومشاهده مسارح خياله ومعاهده ملاعب هواه ومزارعه صقال خاطره ومطاعمه عافية بدنه .

– عاش حياته عزبا لم يتزوج ولم يعقب إذ كان يعتقد أن المرأة معطلة للفن والأديب والشاعر فأثر الكتب وحياة العلم وطلق فكرة الزواج وما أصدق ما قاله صديق عمره الشاعر محمود غنيم في رثاءه :

ومـا أعبـت يـا محمـود نسـلا ∴ سـوى أبكـار أفكـار حسـان
ولـولا الفـن كنـت أبـا وجـدا ∴ ولكـن لسـت بالرجـل الأنـاني
لقـد ربيـت للأجيـال جـيلا ∴ أشـم الأنـف منطلـق اللسـان
فكـل أب بمصـر يـراك قـبلا ∴ أبـا لبنيـه أول وهـو ثـان
شـباب الجيـل يسـأل عـن أبيـه ∴ فيـومى نحـو قبـرك بالبنـان

– كان مثالا للمواطن المخلص يتفانى فى عمله وفى صمت يؤمن بالانضباط فى العمل سواء مع طلابه أو مرءوسيه من المدرسين .

وحدث وكان مديرا المدرسة الإبراهيمية الثانوية عبث في بعض الفصول لغياب المدرس فذهب إلى الفصل وأخذ يلقن التلاميذ درسا في الآداب وأداء الواجب غير

(١) قصيدته من نوازى القلب مجلة الرسالة العدد ٣٩٤/٦/١٩٤١ص٧٧

أنـه أحس بنوبـة إغمـاء ووقـع مغشيا عليـه ولفظ أنفاسـه الأخيرة وهو لا يـزال فـي ريعان الشباب لم يجاوز الخمسين عاما .

وقال الطب سكته نبض قلب غرتـه فقلت أفنـاه التفاني (من قصيدة الأستاذ محمود غنيم فى رثاء الشاعر).

سـجل خطـا فـي الخمسـين عامـا ∴ طوتـــه المنيـــة فـــي ثـــوان

ولكـــن بعـــد أن أضـــحى نشـــيدا ∴ يـــــردده مثـــــل ترديـــــد الآذان

يصـــيب المـــوت محمـــودا فيفنـــى ∴ ولـــيس تـــراث محمـــود بفـــان

المطلب الثالث

مؤلفاته وبعض ما كتب عنه

مؤلفاته:

ترك الأستاذ مؤلفات كثيرة تدل على تنوع ثقافته وغزارة علمه وسعة اطلاعه في الشعر والأدب والقصة والنقد والتاريخ وصور من حياتنا الاجتماعية وفى المقدمة شرح واف لمؤلفات الشاعر الخفيف سواء ما نشر منها فكتب أو ظل منها في جنبات الرسالة والرواية والرائد.

كتب تم طبعها ونشرها :

- أحمد عرابي – الزعيم المفترى عليه.
- تولستوي.
- إبراهام لنكولن. هدية الإحراج إلى عالم المدنية".

كتب تم نشرها فى مجلة الرسالة ومجلات أخري :

- ملتون "القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال.
- عقبة بن نافع "فاتح أفريقيا وقاهر الروم والبربر" .
- معركة صلاح الدين مع الصلبيين ومعركة حطين .
- محمد شريف باشا.
- الجزائر المجاهدة.
- نهاية المعركة.

أعلام فى الأدب والتاريخ .

- بيرون
- وداع للورد بيرون ترجمة الأستاذ محمود الخفيف
- رثاء للشاعر اللورد بيرون – ترجمة الأستاذ محمود الخفيف

- سجين شيلون للشاعر اللورد بيرون : ترجمة الأستاذ محمود الحفيف.
- القمر فى الخريف للشاعر كولريدج – ترجمة الشاعر محمود الخفيف.
- ميرابو.
- مازينى.
- الشعر عند ماكولى .
- زواج تولستوي .

قصص :

في مجلة الرسالة:-

- دموع بريئة – السنة الأولى – العدد١٣-١٥/٧٦/١٩٣٣م .
- عفراء الغجرية – السنة الثامنة – العدد ٣٥١-٢٥/٣/١٩٤٠م .

الرواية:

- الفريق – السنة الأولى – العدد الثامن -١٥/٥/١٩٣٧م .
- جليلة – السنة الثالثة – العدد ٤٨-١٥/١/١٩٣٩م.
- انتقام – السنة الثالثة العدد ٥٤-١٥/٤/١٩٣٩م .
- وأخيرا اختارت – السنة الرابعة – العدد ٢-١٥/١٢/١٩٥٢م .
- لا مفر – السنة الرابعة – العدد ٤- ١٥/١/١٩٥٣م .

في مجلة الرائد:

- ابن القباقيبى – السنة الثانية – العدد الثالث – نوفمبر ١٩٥٦م .
- بأي ذنب شردت – السنة الثانية – العدد الرابع – ديسمبر ١٩٥٦م.
- فرار إلى الله – السنة الثانية – لعدد العاشر – يونية ١٩٥٧م ،
- هدية – السنة الرابعة – العدد السابع – ١٩٥٩م ،
- ذهب فى عهد دهب – السنة السادسة – العدد الثانى – أكتوبر ١٩٦٠م.

- قال القاضي وحكم القاضي – السنة السادسة – العدد الرابع – ديسمبر ١٩٦٠م .
- البلبل والزهرة – السنة الثانية – العدد ٤٥-/١٤/٥/١٩٣٤م .
- الينورا – السنة الأولى – العدد الأول -١/٢/١٩٣٧م .
- قلب الرجل – السنة الأولى – العدد الثانى – ١٥/٢/١٩٣٧م .
- اليأس فى زمن الحب – السنة الأولى – العدد الأول – ١/١٢/١٩٣٧م .
- سوما :السنة الرابعة – العدد الأول – ١/١٢/١٩٥٢م .
- بذته الصغيرة – السنة الرابعة – العدد الأول – ١/١٢/١٩٥٢م .
- اليهودي – السنة الرابعة – العدد الثانى – ١٥/١٢/١٩٥٢م .
- البيت الخالي – السنة الرابعة – العدد الثانى ١٥/١٢/١٩٥٢م .
- لماذا – السنة الرابعة – العدد الثانى -١/١/١٩٥٣م .
- الطبيب الشاب – السنة الرابعة- العدد الثانى ١/١/١٩٥٣م .
- الورقة الثالثة عشر – السنة الرابعة – العدد الرابع ١٥/١/١٩٥٣م.
- عينان – السنة الرابعة – العدد الخامس – ١/٢/١٩٥٣م.

بعض ما كتب عنه:

ولم يحظ محمود الخفيف في حياته أو بعد مماته بدراسة أعماله في مجالات الأدب المختلفة ومنزلته الأدبية بين أدباء عصره بالرغم من غزارة إنتاجه الأدب المتنوع ويرجع ذلك إلى تعرضه للظلم والاضطهاد من جانب القصر وبطانته خلال فترة الاستعمار لمصر عندما نشر كتابه أحمد عرابي الزعيم المتري عليه وكشف فيه تآمر القصر مع الاستعمار لاحتلال مصر .

وأذكر فيما يلى بعض ما كتب عنه على أن تتضمن كلمتي ما استطعت أن أجمعه مما كتب عن الأستاذ محمود الخفيف وعلى أمل ورجاء من الله ان كان من

العمر بقية أن أؤلف كتابا عن الأستاذ محمود الخفيف يضم ما تحت يدى مما كتب عنه :

قامت جريدة الأخبار بنشر نبأ وفاته في ١٩٦١/١٠/٣٠م فى صفحتها الأولى ونوهت بأنه شاعر عربي أسهم بقصائده الثورية في مهاجمة الاستعمار .

الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة فيثير إلى تعلق محمود الخفيف بالريف فى شعره فيقول والصديق الوفي وله بالريف فصباياه عرائس شرعه ومشاهد مسارح خياله ومعاهد ملاعب هواه ومزارعته صقال خاطره.

– الدكتور محمد رجب البيومي (مجلة الأزهر ، ديسمبر ١٩٦١م) تحت عنوان شمس تغيب صفحة من كفاح أديب كبير (موفق مقال الكاتب وفيها يقول).

– كان الأستاذ الخفيف صاحب رسالة فى دنيا الأدب والفكر ، فلم يكن ليكتب كلمة واحدة لا تهدف إلى مثل رائع أو تكشف حقيقة مطموسة وإذا أردت سمة بارزة لأدبه فتله هي البطولة .بطولة الرأي حين يواجه فلول الباطل فيقهقرها فى اعتزاز ،وبطولة الفكر حين ينزع إلى القمم الشامخة فى دنيا الانسانية فيرفرف فى أجوائها ويستلهم منازعها وأهواءها وبطولة اللفظ حين يؤثر التركيب والتعبير الموحى المشع فيعرضه فى موكب من البلاغة العالية وبطولة الاحساس حين يتجه على تصوير أدق منازع الضمير الحى وأرقى خلجات الروح المتوثب وأخفت همسات الشعور النبيل فى شعره صاف ينحدر كالماء .لقد كان الرجل مؤرخا وكاتبا وشاعرا وفى كل ناحية من نواحيه يستفيض القول .

– دار الهلال ... على غلاف كتاب أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه عند إعادة طبعه بمعرفتها عام ١٩٧١م.

– ومحمود الخفيف شاعر وناقد ومؤرخ من كبار الأدباء والكتاب الذين ظهروا في بلادنا وقد اتجهت السلطات الحاكمة إلى تشريده وكان معروفا لدى الجميع أنه

من المغضوب عليه من السلطات الحاكمة مما جعله يعيش في ظروف مادية ومعنوية صعبة ولم يأخذ حق الأدبي الكامل بسبب الحرب التي واجهته في حياته ... وكتابات محمود الخفيف تتميز بالثقافي الواسعة وبالأسلوب الممتع ، فقد كان إلى جانب ثقافته العلمية والتاريخية شاعرًا.

– جريدة الجمهورية (١٩٨٦/١١/٣٠م) تحت عنوان الذكرى للأستاذ شكري القاضي وفيه يقول: فى ذكرى مرور ربع قرن على رحيله يطل علينا الشاعر المصري محمود الخفيف ، ولسان حاله يقول يشكو من التعتيم المستمر على نتاجه العلمي فى شتى فنون الكلمة شاعرا متميزا وأديبا بارعا ومؤرخا جيدا يعد من أبرز كتاب التراجم الأدبية والتاريخية فى المكتبة العربية المعاصرة .

– جريد الأهرام :للأستاذ سامح كريم .

حيث بين ما لحق بالشاعر محمود من ظلم لجرأته فى الحق وكتابته عن عرابي وما تعرض له نتيجة ذلك من اضطهاد ، فلم يأخذ حقه كأديب ومؤرخ وشاعر ولم يحظ إنتاجه الأدبي والفكري بالدراسة والنشر .

كما كتب الأستاذ شكري القاضي بجريدة الجمهورية (١٩٩٣/١١/٢٤م) تحت عنوان للذكرى عن الأستاذ للشاعر محمود الخفيف (المقال مرفق).

وكما قال الأستاذ محمود الخفيف عن عرابي أما آن التاريخ أن ينصف هذا الزعيم الفلاح أقول:

حقا قد أنصفه الأستاذ الفاضل الكاتب الكبير رجاء النقاش (مرفق مقالتين) مما كتبه سيادته إنصافا إلى الأستاذ محمود الخفيف .

وقد اتجهت الدراسات في وقتنا هذا للأستاذ الخفيف وابتدأت تدرس شعره ، ومنها هذا البحث.

المبحث الثالث

التناص عند الخفيف

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : التناص الديني.

المطلب الثاني: التناص التاريخي.

المطلب الثالث: التناص الأدبي.

المطلب الرابع : التناص الشعبي والأسطوري.

المطلب الأول

التناص الديني

يعد الموروث الديني مصدرا هاما من مصادر التي وظفها الشعراء في كل زمن وقد زاد الشعراء المعاصرون من استرفادهم لهذا الموروث ؛ فظهرت أحداث الحياة في تجاربهم الشعرية عبر اسباغ صفة الديمومة والبقاء عليها ،واكسابها عنفوانا وفاعلية؛ وذلك لما يشكله الدين من حضور قوي ومؤثر في قوس معظم البشر ؛ولما يشمله الدين من إبداع فني يفتقده الشعراء في مصادر أخري فالمرجعيات الدينية من أبرز الروافد التي تغذي البنية الوجدانية ، والفضاء الدلالي في التجربة الشعرية وآلية التلقي ... وتأثيرها يفوق تأثير المرجعيات الأخرى ... لما تحويه من حقائق عقائدية تجمع النص الديني المستدعي ، والنص الحاضر في سياق دلالي واحد.

أولا : التناص مع القرآن الكريم.

يعد القرآن الكريم منذ نزوله المعجز من اكثر المصادر الدينية حضورا ،وأوفرها حظوة في الشعر العربي المعاصر عامة، وشعر الخفيف خاصة ؛ ذلك أن توظيف النصوص القرآنية في الأدب بشكل فني يزيد من ايحاءات النص الشعري وثرائه ، ويفتح له أفاقا رحبة من التدبر والتأويل[1] بل من الطبيعي للشعر المنفعل بقضايا الأمة المهتم بنهضتها والذى يدعو إلى بعث الأمة العربية ،واستنهاض قواها أن يتناص بصورة كثيرة ومتنوعة [2]. واللغة القرآنية تتميز بما فيها من إشعاع وتجدد ، ولما فيها من طاقات إبداعية ، تصل بين الشاعر والمتلقي ،بحيث

(١) التناص القرآني في شعر محمود درويش وامل دنقل ، د. علي سليمي ورضا كيالي، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ،جامعة سمنان إيران ع:٩ ،٢٠١٢م ،ص:١٠٦.

(٢) المرجع السابق:١٠٩.(بتصرف)

تستطيع عدة شعراء أن يستثمروا الآية الواحدة ، من خلال إسقاط مغزاها أو شكلها على أزماتهم الخاصة لتعبر عن تجاربهم الفردية من دون أن يلتزموا صيغة واحدة. [1]

وقد تنوعت استحضارات الخفيف ،للقرآن الكريم ما بين إيحاء بمضمون الآية أو فكرتها الأساسية ، أو استدعاء بعض المفردات والتراكيب القرآنية ، أو إشارة إلى القصص القرآني بأحداثه وشخصياته ، وهذا الغالب الأعم والشق الأكبر من ديوانه فلا تكاد تخلو قصيدة من ديوانه الكبير من تناص مع آية في كتاب الله تعالي أو أخذ لفظة من ألفاظه المباركة وصياغاتها في قوالب شعرية تناسبها ،أو استحضار معني من معاني القرآن الجامعة الرائعة ، ومن تلك الاستحضارات في قصيدة (إلي النهر الغاضب).

توالت عليها عجاف السنين ∴ وأعمى التنابذ رعيانها[2]

فقد استوحي القصة القرآنية لسيدنا يوسف السلام وهي قد حدثت في مصر وكان القاسم المشترك بين ما حدث قديما وما حدث مما يذكره الخفيف هو نهر النيل ونقصانه وترتب علي ذلك السنين العجاف وهذا مصطلح قرآني تناص معه الخفيف قال تعالي :" يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ "[3] . فالسنين العجاف والمقصود بها الشديدة هي من التناص مع القرآن الكريم وبقية أبيات القصيدة تؤكد معني هذه القصة ومنها:

(١) التناص بين النظرية والتطبيق شعر الباتي نموذجا ،د. أحمد طعمة حلبى ،الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا ٢٠٠٧م ،ص٩٥.

(٢) الديوان :٩١

(٣) سورة يوسف :٤٦.

وذاق بنوهـــــا بأوطـــــانهم ∴ صـــــنوف العـــــذاب وألوانهـــــا
ألـــم تـــر كيـــف دهاهـــا الكســـاد ∴ وكـــــاد يـــــدمر عمرانهـــــا[١]

وفي نفس القصيدة يتناص الشاعر مع القرآن الكريم مع أسلوبه وطريقته فيذكره موقف خروج ديدان الأرض من كثرة جفافها وقلة مائها وهو من علامات الخراب ودوافع الخوف الشديد للناس يجعله يستحضر موقف يوم القيامة حيث تلفظ الأرض الناس كما لفظت ديدانها الآن يقول:

وكيـــف توقـــف فيهـــا النمـــاء ∴ وأخرجـــــت الأرض ديـــــدانها[٢]

فأخذ الأسلوب القرآني مع تحويره ففي القرآن الكريم :(وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا)[٣] لكنه حوره بما يخدم قضيته فبدل ديدانها بأثقالها.

وقد يستحضر ألفاظ من القرآن الكريم ويضعها بما يخدم قضيته ويحقق هدفه في صوغ معني عال يقول:

ضـــاقت الأنفـــس حينـــا وبـــدت ∴ نـــــذر الرجفـــــة للمســـــتهزئين[٤]

وقوله:

يضـــج بـــالويلات هـــذا الســـكون ∴ كأنمـــــا الأرض بـــــه راجفـــــه

فهـــذه الألفـــــاظ (نـــذر) و(الرجفـــة) و(المســـتهزئين).كلها ألفـــاظ قرآنيـــة استعملـــت فـــي كتـــــاب الله كثيـــرا قـــال تعـــالي (فَكَيْـفَ كَـانَ عَـذَابِي وَنُـذُرِ)[٥]

(١) الديوان : ٩٢
(٢) الديوان : ٩٢
(٣) الزلزلة :٢ .
(٤) الديوان : ٩٨
(٥) القمر : ١٦ ،١٨ ،٢٣.

و(فأخذتهم الرجفة)[١] ، و(يوم ترجف الأرض والجبال)[٢] ،(إنا كفيناك المستهزئين). [٣]

فأخذها الشاعر .

ومما أخذه من كتاب الله ومفرداته فيما يخدم معانيه في حديثه في قصيدة من وحي الحرب وسماها وداع يقول فيها:

أفي ومضة تتلظى الجحيم ∴ وفي خطرة ترجف الراجفة؟[٤]

ويتضح أن هذا مأخوذ من قوله تعالي : (يوم ترجف الراجفة)[٥]

فالقرآن يستخدمها لإظهار الهول وبيان الكرب يوم القيامة ، والخفيف أخذها ليظهر ما يعانيه أهل الحروب من هلع وفزع ورعب وكرب فأخذ الأسلوب ومعناه ،وقد استكمل في البيت الذي يليه تصوير الحالة بألفاظ قرآنية فقال:

وتمضى رحى الموت في ضجة ∴ تبيت القلوب لها واجفة[٦]؟

وقد أخذه من قوله تعالي:(قلوب يومئذٍ واجفة)[٧] والقرآن يقصد قلوب الكفار يوم القيامة فهي خائفة قلقة مضطربة من شدة الخوف، والخفيف يأخذ هذا التوصيف لقلوب من يعاني أهوال الحرب ويصطلي بنارها .

(١) الأعراف : ٧٨

(٢) المزمل : ١٤

(٣) الحجر:٩٥

(٤) الديوان : ١٣٠

(٥) النازعات : ٦.

(٦) الديوان : ١٣٠

(٧) النازعات : ٨

ومازال أسلوب القرآن مسيطرا عليه ففي القصيدة نفسها يتناص مع القرآن الكريم عندما يتحدث عن أزمة احتلال الديار مع نقص النيل فيستدعي الأسلوب القرآني في سورة الإسراء:(فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ)[1]. ويقول:

وجاس الغريب خلال الديار ∴ قوى المخالب يقظانها[2]

ويستعمل الفعل جاس بالإفراد والذي استعمله القران بالجمع جاسوا ومعناه: عاثوا وقتلوا ؛ ويبين أن الذي جاس هم الغرباء أصحاب المخالب القوية المتنبه لقطع اللحم وخراب البدن، وهو يشير هنا إلي ما ذكره المؤرخون[3] من أن مصر في حياة يوسف عليه السلام كانت تحت حكم الملوك الرعاة (الهكسوس) الذين تغلبوا على جيوش الفراعنة ،واحتلوا مصر وظلوا فيها من ١٧٣٠ ق.م إلى ١٥٨٠ ق.م حتى أخرجهم أحمس الأول.

---

(١) الإسراء :٥

(٢) الديوان : ٩٢

(٣) عندما يذكر القرآن حكام مصر القدامى لا يذكرهم إلا بلقب (فرعون) وذلك في حوالي ستين آية كريمة إلا في سورة واحدة ذكر فيها حاكم مصر بلقب (ملك) وهي سورة يوسف ، قال تعالى: "وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ"، وقوله تعالى:" وقال الملك ائتوني به " . ففي سورة يوسف ... لم يذكر فيها لقب فرعون مع أن يوسف عليه السلام عاش في مصر ... وذكرت السورة في ثلاث آيات هي: (٤٣ و ٥٠ و ٥٤) أن حاكم مصر كان لقبه ملكًا وليس فرعونًا فكيف هذا ؟.. بقيت هذه الآيات الثلاث إعجازًا قرآنيًا، حتى فكك (شامبليون) حجر رشيد وتعرف على الكتابة الهيروغليفية في أواخر القرن التاسع عشر، فتعرف العالم على تاريخ مصر في مطلع القرن الحالي بشكل دقيق فظهرت المعجزة لأن يوسف عليه السلام عاش في مصر أيام (الملوك الرعاة) حيث تربع على مصر ملوك بدل الفراعنة الذين انحسر حكمهم إلى الصعيد وجعلوا عاصمتهم طيبة أليس هذه معجزة قرآنية تاريخية تشهد بدقته وصحته ...وتشهد بالتالي بنبوة محمد بن عبدالله ، ينظر: الإنسان بين العلم والدين : د. شوقي أبو خليل ، ص١١٢.

وتناص من القرآن في ذكر قصة يوسف وبعض تفصيلاتها يقول:

وأوغـــر صـــدرك يـــاس الـــبلاد ∴ فجئـــــت تجـــــدد إيمانهـــــا
بلـــوت بنفســـك ماضـــي الـــبلاد ∴ وادركـــــت بـــــالأمس ســـــلطانها
تلقـــى مـــن الـــوحى شـــتى الفنـــون ∴ وترفـــــع فـــــي الأرض ميزانهـــــا[1]

وهذه التفصيلات التي ذكرها الخفيف تجدها بتفصيلاتها وأحداثها في القرآن الكريم في سورة يوسف " مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ * إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ * أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ * ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" فهو قد جاء يجدد إيمانها ويلقي من الوحي الخير العميم والنور الذي يضيئ لهم جنبات حياتهم .

وفي قصيدة :(الطائر السجين) يأخذ الأسلوب القرآني بألفاظه " مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ[2] ". في القرآن جاء الاسلوب بالحديث عن الغائب حيث يتحدث الملأ وكبراء مع بقية قومهم لينفوا عن النبي النبوة مستشهدين بانه ممن يأكل الطعام ويعنون لازمه وهو الإخراج ودخول الأماكن المستقزرة وهي من الكنايات ، أو كما يقول القرطبي : فلا فضل له عليكم لأنه محتاج إلى الطعام والشراب كأنتم.

واستعمل الخفيف هذا الأسلوب القرآني فقال:

حســـبوا أنـــك فـــيهم نـــاعم ∴ أو لا تأكـــل ممـــا يـــأكلون؟[3]

ولكن الشاعر استعمله في الحديث مع المخاطب فلم يختلف إلا باختلاف نوع الحديث من الغائب إلي المتكلم لكن الموقف والاستعمال واحد للألفاظ وسياقاتها

(١) الديوان : ٩٢
(٢) المؤمنون: ٣٣
(٣) الديوان : ٩٤ .

فقال له إنهم مخطئون في تصورهم أنك انعم منهم عيشا وأعلي منهم حياتا والدليل ألا تطعم من طعامهم وتشرب من شرابهم.

وفي قصيدة: الطائر السجين.

أخذ ألفاظ قرآنية ومنها صحاف والتي أخذها من قوله تعالي:(يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ)[١]

وصحاف وشراب طاهر ∴ وهدوء لم ينله المترفون[٢]

وكذلك شراب ولكنها من الألفاظ المستعملة كثيرا علي ألسنة الشعراء.

ومن ألفاظ القرآن التي استعمله الخفيف في قصيدة : الطائر السجين.

يتحدث عن السعادة التي كان يعيش السجين فيها قبل هذا السجن وأنه كان لا يعرف معني الضرر ولا الحزن ولكنه كان يعيش في سعادة كبيرة وفرحة تعدل دخول الجنة فاستخدم ألفاظ القرآن (ظلال) (وعيون) يقول:

أين ما تلقاه في أغلالهم ∴ من ظلال كنت فيها وعيون؟[٣]

وقد اخذها من قوله تعالي(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ)[٤] لكن الله جاء بها في الحديث عن جزاء المتقين في الجنة ولكن الخفيف كما بينا استخدمها في الحديث عن حالة السجين قبل سجنه بالمقارنة بحالته بعدها ، وقد استمر في تصوير الحالة في القصيدة فقال:

وطعام لم يكن ذا غصة ∴ لم يكدر لديك الطاعمون[٥]

---

(١) الزخرف : ٧١

(٢) الديوان : ٩٤ .

(٣) الديوان :٩٦

(٤) سورة المرسلات :٤١ .

(٥) الديوان :٩٦

فحالة المسجون قبل سجنه في طعامه كانت مترفة حيث كان يأكل الطعام الطيب المستساغ حيث أبدلوه في السجن بطعام يغص به الآكل ولا يستسيغه الطاعم ، وقد أخذه من قوله تعالي:

(وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا)[١] وهذا الوصف استعمله ربنا تبارك وتعالي في وصف طعام أهل النار فبين أن طعامهم بهذا الوصف الشديد والذي استعمله الخفيف في وصف طعام السجين.

ومن أساليب الخفيف التي استقاها وقبسها من القرآن الكريم حيث يقول:

قتل الانسان ما أظلمه ∴ دأبه العدوان والغدر المهين[٢]

فالشطر الأول مأخوذ بأسلوبه وألفاظه من الآية الكريمة وهي قوله تعالي:(قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) .[٣]

لكن القرآن تحدث كما يقول العلماء عن عتبة بن أبي لهب وكان آمن ثم ارتد وقال آمنت بالقرآن كله إلا سورة النجم فأنزل الله هذه الآية والمعني أنه لعن أو عذب[٤] ، لكن الخفيف أخذها ولم يتحدث بالكفر لأنه لا يجاز له ولا يحل فذكر أنه ما أظلمه ، والظلم هو تجاوز الحد وهو من ظواهر الإنسان ومظاهره التي تبدو بجلاء.

وما زال الخفيف يستقي من القرآن الكريم وأساليبه فيتحدث بالحكمة عن الانسان فيقول:

---

(١) سورة المزمل :١٣ .

(٢) الديوان :٩٦

(٣) سورة عبس :١٧.

(٤) تفسير القرطبي :٨ /١١٢

يكـــره الظلـــم إذا مـــا مســـه ∴ وهـــو إن يأمنـــه شـــر الظـــالمين[١]

فهو يبغض الظلم ولا يحبه ويصرخ منه إذا كان مظلوما ثم إذا لم يظلم وأمن دواعيه تراه ظالما غاشما مجترئا علي حقوق العباد ومستحلا ظلمهم وهذا مأخوذ من القرآن الكريم من قوله تعالي:(وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ)[٢] وقوله تعالي:(فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ * بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ). [٣]

فكهذا الإنسان في الخير والشر.

ومن الاقتباسات القرآنية قول الخفيف:

وكـــأين فـــي الـــورى مـــن آيـــة ∴ ويمـــرون عليهـــا معرضـــين[٤]

فهو يشبه النظم لقول الله تعالي :(وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) [٥].

وقد استعمل كثيرا الفاظا قرآنية لها دلالتها المعجزة في القرآن فنقلها إلي شعره ومنها قوله:

قضـى الأمـر! هـل رضـيت القضـاء ∴ أيهـا اللاغـب المهـيض الجنـاح![٦]

اقتباس أو بمصطلحنا تناص مع قوله تعالي: (قضي الأمر).

---

(١) الديوان :٩٦

(٢) سورة الزمر : ٨

(٣) سورة الزمر : ٤٩ .

(٤) الديوان : ٩٦

(٥) سورة يوسف: ١٠٥.

(٦) الديوان :١٠٠

وفي مطلع قصيدته: إلى شباب الوادي.

تـــنفس صـــبحكمو المنتظـــر ∴ فللـــه هـــذا الصـــباح الأغـــر[١]

من قوله تعالي :(وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)[٢] والصبح إذا تنفس، أي: امتد حتى يصير نهارًا واضحًا، يقال للنهار إذا زاد: تنفس وقد ثبت بالعلم ذلك فالنهار وإشراق الضوء يمنحنا الهواء النقي للتنفس، فبالليل يخرج ثاني أكسيد الكربون من الأشجار والخضراوات، ثم بالصبح تنتج النباتات كلها الأكسجين الصالح الذي يجعل الناس تستطيع التنفس، فالكون بالصبح ابتدأ بالتنفس .

وفي قول الخفيف.

وكونـوا لهـا فـي ظـلال السـلام ∴ كمـا كنتمـو فـي غواشـى الخطـر[٣]

اقتباس وبمصطلحنا تناص من قوله تعالي :(وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ)[٤]

وهو جمع (غاشية) وذلك ما غَشَّاهم فغطاهم من فوقهم.

ومن تناصه مع القرآن الكريم قوله:

أجمعـوا أمـرهم وسـاروا جموعـا ∴ يتخطـــون بالثبـــات الصـــعاب[٥]

فـ (اجمعوا) من ألفاظ القرآن الكريم ومن خصائصه وقد وضعها مع الأمر والمعني أحكموا أمركم كما في قوله تعالي:(فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ)[٦] وهو المعني الذي قصده الخفيف إحكام الأمر.

---

(١) الديوان : ١٠٣.

(٢) التكوير : ١٨

(٣) الديوان : ١٠٥

(٤) الأعراف :٤١

(٥) الديوان: ١١٨

(٦) يونس : ٧١

ومن تناصه مع القرآن الكريم:

أرى علـى الأرض طيـوف الجحـيم ∴ فـــــي هـــــذه الغاشـــــية

يطــوف بالنــاس عــذاب ألــيم ∴ مـــــن نارهـــــا الحاميـــــه

نـار تلظـى فـي الـورى مـن قـديم ∴ وأنهـــر مـــن دمـــه جاريـــه[1]

وهذه الأبيات مأخوذة ويظهر فيها التناص جليا مع سورة الغاشية. من قوله تعالي:(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)[2] وقوله تعالي:(تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً)[3] ،وقوله تعالي:(فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ). [4]

وفي قصيدة الحرب: وهو يتحدث عن الموت والشعور به والرعب منه سيما في الحروب والمنازعات بين الناس والذي بدأ رعبه في أول قتيل علي وجه الأرض في معركة وهو هابيل الذي قتله أخوه قابيل وهو هنا يشير إلي الخسارة في الطرفين فهابيل فقد روحه وقابيل فقد الأمان وامتلأ بالرعب.

مـازال مـن (هابيـل) فـي رقدتـه ∴ مـا طـاف مـن رعـب فأصـمي أخـاه[5]

وهـذا المعنـي مسـتنبط مـن قصـة قابيـل وهابيـل فـي القـرآن الكـريم قولـه تعالى:(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين * إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت له

(١) الديوان : ١٢٧

(٢) الغاشية :١

(٣) الغاشية : ٤

(٤) الليل : ١٤

(٥) الديوان :١٢٨

نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين * فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين)[١].

وفي قصيدة من وحي الحرب بعنوان: وداع. يتحدث عن شدة الحرب والقتل الذي انتشر بين المقاتلين واجتث كثيرا من أعمار الرجال يقول :

أحـــاط الـــردى بالرجـــال ∴ وزلزلـــت الأرض زلزالهـــا[٢]

وهو اشبه ما يكون بيوم القيامة ،فتناص مع قوله تعالي:(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا)[٣] والقرآن يقصد يوم القيامة بشدة خطبه وعظم هوله ، والحرب كذلك .

وفي نفس القصيدة يتحدث عن امتلاء الأرض بالدخان ومن نار الحروب والدمار الذي يلقي من الطائرات والمدافع يقول:

وكيـف تصـب السـماء الـدخان ∴ تزيـد علـى الأرض أهوالهـا[٤]

فقد أخذ هذا المعني للهول وهذا التصوير للشدة بما يأتي من دخان من علامات القيامة وهو الذي يسكر العصاة ويزكم المؤمنين ومعناه شدة تصيب الناس جميعا وهو مأخوذ من قوله تعالي:(يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ)[٥]

وفي قصيدة : في ذكري دنشواي. يتحدث عن حال الشهداء الذين أعدمهم المستعمر البريطاني البغيض وهم يدافعون عن انتهاك حرماتهم وتلاعب الجنود

(١) المائدة : ٢٧: ٣١

(٢) الديوان :١٣٥

(٣) سورة الزلزلة : ١

(٤) الديوان :١٣٥

(٥) سورة الدخان :١٠

بحياتهم حيث يقتلونه وهم يصيدون الحمام فبين أنهم ليسوا كما يبدو للناس أنهم معدمون ومقتولون بل هم أحياء في الجنان يتنعمون وفي الفراديس يرزقون يقول:

أبنـــاؤك الشـــهداء كـــل نـــاعم ∴ فـــي الخلـــد عنـــد الله حـــي يـــرزق[١]

وهو تناص مع القرآن الكريم وعين ما بينه ويعتقده كل مسلم لحال الشهداء وذلك في قوله تعالي: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا*بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)[٢]

وفي القصيدة يقول ردا علي الإنجليز ومن يعاونهم ويتهم الشهداء بالظلم والاعتداء علي الجنود البريطانيين :

لعنـــوا بمـــا قـــالوا فلـــيس لإفكهـــم ∴ بعـــد المشـــانق والســـجون مصـــدق[٣]

وهو أسلوب قرآني متفرد في الرد علي الكاذبين ومخترعي الإفك ومروجي البهتان أيا ما كان فالدعاء عليهم بالطرد من الرحمة لقولهم والوعد بالعذاب وهو من قوله تعالي:(وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا). والله يرد بهذا الاسلوب علي اليهود في ادعائهم الكاذب بالبخل علي الذات العليا ، فأخذه الخفيف وألقاه في وجه أحلاف اليهود وصنّاع دولتهم البريطانيين.

ومن القصص القرآني التي أخذها الخفيف وتناص معها قصة سيدنا موسي عليه السلام يقول في قصيدة بين الشرق والغرب وهو يعدد مزايا الشرق ويبين أفضاله:

أنـــس النـــار بواديـــه الكلـــيم ∴ قبســـا مـــن جانـــب الطـــور !

(١) الديوان : ١٣٦

(٢) آل عمران :١٦٩

(٣) الديوان : ١٣٧

فـــــأراه الله مـــــن آياتـــــه ∴ وحبـــاه العلـــم والـــرأي القـــويم[١]

وقد تناص مع القرآن الكريم والذي ذكر هذه القصة في مواضع كثيرة لكن استعمال الخفيف مأخوذ بألفاظه من سورة القصص والتي يقول الله فيها:(فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) ... إلي قوله تعالي:(اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ). [٢]

وفي القصيدة نفسها يتحدث عن سيدنا عيسي عليه السلام ويبن اجتباء الله له وكلامه للناس وهو في المهد ، وبشارة سيدنا عيسي بنبوة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم يقول:

واجتبـى عيسـى مـن الشـرق نبيـا ∴ فـــروى فـــى المهـــد صـــبيا!

بشـــر النـــاس فتيـــا برســـول ∴ يحمـــل الحـــق كتابـــا عربيـــا[٣]

وهذا التناص للقرآن ونظم بعض معاني آياته وهي قوله تعالي:(وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ)[٤]،وقوله تعالي:(فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ * قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي

(١) الديوان :١٤٤

(٢) القصص : ٢٩ ،٣١.

(٣) الديوان :١٤٤

(٤) آل عمران : ٤٦

جَبَّارًا شَقِيًّا ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)[١] ،وقوله تعالي:(وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ). [٢]

وقد يستعمل صفات قرآنية اسبغها الله علي الإنسان فهي صفات قرآنية ونعوت ربانية تصور حالات البشر في خصومته وهو (ألد الخصام) يقول:

ياعجبا وهو ألد الخصام ∴ يردد الإنسان لحن السلام[٣]

من القرآن الكريم : (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)[٤] أي شديد الخصومة فهو في حال خصومته ، يكذب ، ويزور عن الحق ولا يستقيم معه ، بل يفتري ويفجر، هذا وصف الله لبعض الناس أخذه الخفيف ليعجب للإنسان وهذه صفته كيف يزعم أنه محب للسلام داع له وكيف يتشدق ويغني للسلام وهو لا يحسنه بل يحسن ضده.

ويقول مبيننا حال الله مع الإنسان وقد علمه ما كان يجهله وهداه بعد ضلاله بفيض علمه و فضل كرمه يقول:

قبس الله العلى الأكرم ∴ علم الانسان ما لم يعلم[٥]

من قوله تعالي:(عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[٦] ، وهو نفس الآية أخذها بفصها ونصها ومعناها التي ذكره المفسرون لهذه الآية المباركة أخذه كما هو.

(١) مريم : ٢٩ ،٣٣
(٢) الصف : ٦
(٣) الديوان : ١٤٨
(٤) البقرة : ٢٠٤
(٥) الديوان : ٣٩٩
(٦) العلق : ٥

ثانياً : التناص مع الحديث الشريف والسيرة النبوية

يعد الحديث النبوي بعد القرآن الكريم من اكثر المصادر الدينية حضورا وأوفرها حظوة في الشعر العربي المعاصر عامة، وشعر الخفيف خاصة ؛ ذلك أن توظيف النصوص النبوية بما تشتمل عليه من آداب وشرح لغامض القران أو بيان لمبهمه أو مخصص لعامة وهو من أعلي روافد الأدب بشكل فني سهل مؤثر ويزيد من ايحاءات النص الشعري وثرائه ، ويفتح له أفاقا رحبة من الخيال المحلق المنطلق ... واللغة النبوية تتميز بما فيها من بلاغة وإيجاز وإعجاز حيث يتمثل فيها جوامع الكلم ، ولما فيها من طاقات بشرية إبداعية ، تصل بين الشاعر والمتلقي ، وكذلك السيرة النبوية وما فيها من احداث رائعة تستدعي الإصغاء وتستجلب الاهتمام ، بحيث تستطيع عدة شعراء أن يستثمروا الحديث الواحد، أو الحدث ، من خلال إسقاط مغزاه أو شكله ،على تجاربهم الفردية من دون أن يلتزموا صيغة واحدة .

وقد تنوعت استحضارات الخفيف ، للحديث الشريف ما بين إيحاء بمضمون الحديث أو فكرته الأساسية ،أو استدعاء بعض المفردات والأساليب النبوية ، أو إشارة إلى القصص القرآني بأحداثه وشخصياته ،ومن تلك الاستحضارات في قصيدة (عيد الجهاد) يقول:

تطوف بمكة الوادي خفافا ∴ ولا تبغى عن الركن ارتحلا
تقبل حائط الحق ابتهاجا ∴ وتملأ ساحة البيت ابتهالا
وتمسح منبرا ولدت عليه ∴ عقيدتنا وكان لها مجالا[1]

* * * * *

وتلمح من جلال الغار ظلا ∴ ومن طهر الحطيم له خلالا

(١) الديوان :٨٦

تطـــالع وجـــه حســـان لديـــه ∴ وتســـمع فـــي مشـــارفه بـــلالا[1]

فالشاعر يتحدث عن مناسبة وطنية عظيمة وهي عيد الجهاد وهي من الذكريات الجليلة الغالية التي تملأ الدنيا روعة وجمالا كما استهلها بـ :

تزيـــد صـــباحه الـــذكري جـــلالا ∴ وقـــد لبســـت بـــه الـــدنيا جمـــالا

ثم يسترسل في وصف الذكري وأثرها عليه وعلي غيره وانها تذكره وغيره بالأحرار ودمائهم الزكية الطاهرة ثم اراد أن يلقي عليها من جلال المناسك وتعظيمها في القلوب فوضع لكل مكان من ارض المعركة اسم منسك ليلقي عليه من القدسية والمهابة والاجلال في النفوس ما يستحقه فذكر (تطوف بمكة الوادي) وذكر كلمة (الوادي) احتراز منه وللسامع عن أن يظن أنه يريد مكة الحقيقة أم القري وجاء بالطواف وهو من المناسك المعروفة ..وكذلك (الركن) وهو منسك معروف وكذلك مما يطلق علي اركان الكعبة واحدهم يبدأ من عنده الطواف ... وكذلك (تقبل حائط) يوحي بتقبيل البيت والحجر وحائط قبر الحبيب صلي الله عليه وسلم ...و(ساحة البيت) وهي تلقي إلي الذهن البيت الحرام سيما وقد أضاف لها ما يعزز هذا الايحاء (ابتهالا) وكذلك (منبرا) مع (الطواف) و(الكعبة) و(الوادي) و(الركن) و(ساحة البيت) نتذكر الحديث المروي عن عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة). [2]

وكذلك (الغار) و(طهر الحطيم) هذه الصور وتلك الأماكن تجعل القارئ يعيش مع أجواء السيرة النبوية المطهرة ويعايش بوجدانه لحظات اتباع النبي صلي الله عليه وسلم فيما كان يفعله ،ولا يكتفي الشاعر بالأماكن بل يضيف للأحداث الشخوص ويستعين بشخوص لها في السيرة دور كبير وله في وجدان الناس

(١) الديوان :٨٦

(٢) متفق عليه .

التصاق بنبينا صل الله عليه وسلم فيذكر لنا شاعر الرسول حسان بن ثابت رضي الله عنه (تطالع وجه حسان) وكذلك يذكرنا بمؤذن الرسول (وتسمع ... بلالا) وقد اجاد الشاعر في استعمال اللفاظ التي تناسب المعني مع كل واحد فحسان شاعر يلقي الشعر وينشده فناسبه النظر له ولانفعالاته (تطالع وجه) ، وبلال مؤذن يدعو الناس بصوته لخير موضوع وهي الصلاة فناسبه (تسمع) لأن مهمته الآذان وتعتمد علي الأذان فالسماع هو الأصل .. ويبين شاعرنا ان استحضار هذه المواقف وتلك الشخوص من أعماق السيرة النبوية يهون ما نلقاه ويوضح جلال ما عانيناه ويساعد النفس علي الوقوف في وجه المحتل الغاشم:

ولم نرهب من المحتل بطشا ∴ وإعداما ونفيا واعتقالا

ومن اقتباسه من السنة المطهرة ، وتناصه مع معانيها الراقية في حديثه عن الدنيا وحالها ووصفها في فعلها مع الضعفاء من الناس والفقراء والمساكين بأنها لهم قفص يضرهم ويمنعهم من الحرية ، يقول:

هذى الدنيا لعمرى قفص ∴ لبنيها العزل المستضعفين

فهذ المعاني مأخوذة من أقوال نبينا صلي الله عليه وسلم والتي رواها أبو هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ"(١) فهذا هو المعني الاصلي والذي قصده الخفيف.

وفي قصيدة: الشيخ!. يتحدث عن أثر الصلاة في النفوس وفعلها في البدن وأنها تقر العين فيصادف المرء بها سرورًا فلا تطمح العين إلى ما سواها فيسكن بها ويهدأ. يقول الخفيف:

وقر عينا ساعة بالصلاة .

(١) صحيح مسلم (بشرح النووي) كتاب الزهد والرقائق :٩ / ٤٠٥٨ ،رقم :٧٢٨٣.

وقد أخذ الخفيف هذا المعني من حديث نبينا (وَجعلت قُرَّة عَيْنِي فِي الصَّلَاة) وقرة الْعين فَوق الْمحبَّة فَإِنَّهُ لَيْسَ كل مَحْبُوب تقر بِهِ الْعين وَإِنَّمَا تقر الْعين بِأَعْلَى المحبوبات الَّذِي يحب لذاته فَالصَّلَاة قُرَّة عُيُون المحبين فِي هَذِه الدُّنْيَا لما فِيهَا من مُنَاجَاة من لَا تقر الْعُيُون وَلَا تطمئِن الْقُلُوب وَلَا تسكن النُّفُوس إِلَّا إِلَيْهِ والتنعم بِذكرِهِ والتذلل والخضوع لَهُ والقرب مِنْهُ وَلَا سِيمَا فِي حَال السُّجُود وَتلك الْحَال أقرب مَا يكون العَبْد من ربه فِيهَا[1].

وقد أخذ من روائع الأحاديث النبوية الدعاء الجامع الرائع الماتع الذي يكون خيره واضحا في الدنيا والأخرة ظاهرا وباطنا في قوله من قصيدة :غلي شباب العيد :

نضـــر الله وجـــه مصـــر بقـــوم ∴ مسـحوا عـن جبـين مصـر التـراب[2]

معنى نضر الله الوجه أي كسا الوجه بالنُّضرة والحسن والبهاء ، ووضع حسنا في ظاهره وحسنا في باطنه ، من حديث نبينا صلي الله عليه وسلم :(نضَّرَ الله وجْهَ امرئ سَمِع مقالتي فحمَلها،...)[3] وهذا المعني الوارد في حديث نبينا وقد اخذه الخفيف فنقله في بيان أسباب النضارة الظاهرة والباطنة في مصر وهي الرجال الذين يعيشون فيها وشبابها الذين يحمونها ويعمرونها.

---

(١) الحديث صحيح . وقد رواه النسائي (٣٩٣٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وصححه الحاكم (٢ / ١٧٤) ووافقه الذهبي ، وصححه الحافظ ابن حجر في " فتح البـــاري " (٣ /١٥) و (١١ / ٣٤٥).

(٢) الدوان :١١٨

(٣) أخرجَهـا أحمد (٤١٥٧)، والترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٢)، وابن أبي حاتـــم (١/ ٩/١)، وأبو يعلى (٥١٢٦، ٥٢٩٦)، وابن حِبَّان (٦٩)، والبيهقي في" المعرفة(3 /1) ، والرامَهُرْمُزي في" المحدث الفاصل6) "، (7، والخليلي في" الإرشاد " (699 /2) وابـــن عبد البر في" جامع بيان العلم(40 /1) "، والخطيب في" الموضح(294 /2) ".

ومن قصيدة : في استقلال القضاء .وهو يتحدث ويستنكر عن طريق الاستفهام ، الاختلاف الظاهر والتباين الواضح بين الناس في كل شيء سيما المعاش وظاهر الحياة ،يقول:

ولم التفاوت في سلالة آدم ∴ أولم يكونوا كلهم صلصالا[1]

وهذا المعني تناص من حديث نبينا صلي الله عليه وسلم(كلكم لآدم وآدم من تراب)[2] فهو المعني الأساسي والأصلي لهذه القضية التي يتجاهلها كثير من الناس وهو التساوي الكامل بين الناس جميعا والأصل الواحد وهو ليس إلا التراب.

ومن التناص مع الحديث النبوي عند الخفيف قوله وهو ينهي عن سب الدهر وزاد شيئا جديدا وهو النهي عن حمده ومدحه لأنه ينظر لقضية عقدية وهو أن الدهر ليس بفاعل علي الحقيقة إنما الفاعل هو الله تعالي وما الدهر إلا زمنا لفعل الله لا يزيد عن ذلك :

لا تلعني دهرك؛ أو تحمدي ∴ الدهر لا يسأل عما فعل[3]

وهم تناص لحديث نبينا صلي الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسبّ الدّهر وأنا الدّهر أقلّب الليل والنهار"، – وفي رواية– لا تسبّوا الدّهر فإنّ الله هو الدّهر[4].

(١) الديوان : ٢٠٠

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب في التفاخر بالأحساب ح٥١١٦ ، كذلك رواه أحمد في المسند (٢ /٣٦١ ح٨٧٢١) عن أبي هريرة.

(٣) الديوان : ٣٦٢

(٤) صحيح مسلم، باب النهي عن سب الدهر، ج ٤ –١٧٦٢، مسند الشاميين:ج١/ص١٦٦ ح٢٧٧ ،

وحديث نبينا جاء نهيا صريحا للعرب والتي كان شأنها أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك فيقولون أصابتهم قوارع الدّهر، وأبادهم الدّهر، فإذا أضافوا إلى الدّهر ما نالهم من الشّدائد سبّوا فاعلها ، فقالوا يا خيبة الدهر ونحو هذا من ألفاظ سب الدهر ؛ فنهاهم عن السب وزاد الخفيف نهي عن المدح ،مع أن المدح لا ضير فيه إذا كان المدح يعلم ويعتقد أن الدهر ليس الفاعل إنما هو ظرف الفعل.

المطلب الثاني

التناص التاريخي

يعد التاريخ من المصادر التراثية الهامة ،إذ يستمد من واحاته قيم ونماذج تعبر عن متطلبات عصرنا وحاجاته ،فالأحداث والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهى بانتهاء وجودها الواقعي (بل) لها دلالتها الشمولية الباقية والقابلة للتجدد... في صيغ وأشكال أخرى .....يستغلها الشاعر المعاصر في التعبير عن بعض جوانب تجربته ؛ ليكسب هذه التجربة نوعا من الكلية والشمول وليضفي عليها ذلك البعد التاريخي الحضاري الذى يمنحها لونا من جلال العراقة[1].

وقد لجأ الشعراء العرب المعاصرون إلى التاريخ الإنساني بشكل عام ،والتاريخ العربي الإسلامي بشكل خاص يعبرون من خلاله عن واقعهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي المتأزم ،والمتردي ويبثون روح العزيمة والقوة والفعالية الإيجابية ؛لبعث ماضي أمتهم المشرق ،ومن أهم هؤلاء الشعراء شاعرنا حيث استلهم أحداث التاريخ ووقائعه وشخصياته والقوال المأثورة لتلك الشخصيات ؛ليعمق تجربته الشعرية ويعرض رؤيته الفكرية ويعبر عن مواقفه الوجدانية .

أولا : التناص مع التاريخ القديم :

استحضر الخفيف الموروث التاريخي القديم العربي وغير العربي وفى إطار الموروثات غير العربية ظهرت شخصيات من التاريخ الفرعوني (أحمس ، رمسيس/الهكسوس) ، ومن التاريخ الصيني (كونفوشيوس) ومن التاريخ الفارسي (قمبيز وكسري) ، ومن التاريخ الروماني (الروم قيصر/ إمبراطور).

(١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي الحديث ، دعلي عشري زايد ، دار الفكر العربي ،القاهرة ١٤١٧هـ١٩٩٧م،ص١٢٠.

وكانت في مجملها إضاءات ثانوية تعين في فهم معزى الشاعر وفكرته.

والملاحظ أن استلهامات الخفيف للموروثات العربية القديمة كانت السائدة في عموم شعره ،وكانت كاشفة عن عمق تجربته الشعرية ومعبرة عن وجدانه وفكره ،ومنسجمة مع تطلعاته وموقفه ؛ وهذا طبيعي لشاعر قومي وطني نذر حياته للدفاع عن قضايا أمته وشعبه، ولم يأل جهدا في بعثها من رقادها ، ومن تلك الاستلهامات كان استلهامه .

فمن قصيدة: إلى النهر الغاضب. وهو يتحدث مع نهر الليل ويسترجع التاريخ ويرجع إلي الوراء فيتذكر :

تذكرت أحمس[1] يزجى الصفوف ∴ ويدعو إلى النصر فرسانها

(١) أحمس الأول، كان فرعون من مصر القديمة ومؤسس الأسرة الثامنة عشرة، وكان عضوًا في العائلة المالكة لطيبة، ابن الفرعون سقنن رع وشقيق الفرعون الأخير من الأسرة السابعة عشر، الملك كامس في عهد والده أو جده، تمردت طيبة ضد الهكسوس، حكام مصر السفلى. عندما كان في السابعة من عمره قتل والده، وفي حوالي عشرة عندما توفي شقيقه لأسباب غير معروفة، ولم يحكم سوى لثلاث سنوات فقط. تولى أحمس الأول العرش بعد وفاة أخيه، وبعد توليه أصبح يعرف سيد القوة رع انهي خلال فترة حكمه على غزو الهكسوس وطردهم من منطقة الدلتا، واستعادت طيبة سيادتها على جميع أنحاء مصر وأراضيها خاضعة لها سابقًا من النوبة وكنعان .اعاد تنظيم إدارة البلاد و فتحت المحاجر والمناجم وطرق جديدة للتجارة، وبدأت مشاريع البناء الضخمة من النوع الذي لم يجر منذ ذلك الوقت من عصر الدولة الوسطى. وضع عهد أحمس الأسس لعصر الدولة الحديثة، والتي بموجبها وصلت الدولة المصرية ذروتها .

ورمسيس[١] يخطر في جنده ∴ فخور المواكب مزدانها[٢]

وأحمس ورمسيس من ملوك الدولة المصرية القديمة وهو استدعاء التاريخ القديم وتناص معه وهو يتحدث عن النيل وهو يحكي قصص هؤلاء الملوك العظام في مواقف القوة وهي القوة والجلد بين الصفوف والاستعداد للحرب .

وفي قصيدة : النسر المهيض بعد الهزيمة :

حلمك القيصرى[٣] كيف تقضى ∴ أيها الساهم الملقى الهوانا ؟[٤]

وقوله:

(١) رمسيس الأول هو فرعون مصر مؤسس الأسرة التاسعة عشر، كان رجلًا عسكريا وحكم مصر وسنه كبير خلال السنتين الباقيتان من عمره بين ١٢٩١ و١٢٩٠ قبل الميلاد. خلفه ابنه الملك سيتي الأول ثم حفيده الملك رمسيس الثاني.وقد ازدهرت البلاد المصرية في عهد هذه الأسرة وتبوأت الصدارة الحضارية والعسكرية بين جيرانها في تلك الفترة. إلا أنها بدأت في التحلل ابتداء من رمسيس الثالث بمؤامرة بالقصر. ونعرف أن أحفاد رمسيس الأول حكموا مصر وكان أخرهم رمسيس الحادي عشر.

(٢) الديوان :٩٢

(٣) الإمبراطور غايوس يوليوس قيصر جنرال وقائد سياسي وكاتب روماني ولد ١٠٠ قبل الميلاد وهو أول من أطلق على نفسه لقب إمبراطور وتولى الحكم ٤٩ قبل الميلاد ويعتبر يوليوس قيصر من أبرز الشخصيات العسكرية الفذة في التاريخ وسبب ثورة تحويل روما من جمهورية إلى امبراطورية وتوفي ٤٤ قبل الميلاد.

(٤) الديوان : ٩٩.

كنت بالأمس الإمبراطور[١] تدعى ∴ بعد نعت بالكرسكى الصغير[٢]

وهو يتحدث عن أثر الهزيمة وينبغي ألا تؤثر في العزمات ولا تقضي علي همم هذا الشعب الأبي فذكره بحلمه والمنسوب ليوليوس قيصر والذي كان يحلم أن يقود العالم ويستولي عليه وقد حاول ذلك واجتاح البلاد وكان مما اجتاح مصر.

من قصيدة: بين الشرق والغرب.

واهبط الصين وزر مستلهما ∴ مهد (كونفشيوس)[٣] في جناتها[٤]

وهذا تناص مع تاريخ الصين وأكبر شخصياتها وصاحب مذهب الصين الأخلاقي والاجتماعي وهو كونفشيوس .

من قصيدة : بنت القرية . وهو يتحدث عن ابنة القرية وجمالها ودلها وادبها فيبين أن وجودها بجماله ودلاله وفتنته وقوته وسيطرته علي مجريات الأحداث لم

(١) لقب يُطلق على كلّ من يحكم إمبراطوريّة والإمبراطورية هي الدولة الواسعة المترامية الحدود، والتي تُخضِع شعوبا عدّة تحت لوائها الإمبراطوري. وأمثلة على الإمبراطوريات هي الإمبراطورية الرومانية، الجرمانية، الفرنسية، البريطانية، وكذلك الخلافتين العباسيّة والأموية التي تعتبران إمبراطوريتان عربيتان وقد يُطلق على من لا يحكم إمبراطوريّة مثل إمبراطور الحبشة وإمبراطور اليابان ، شخصٌ يحكم أو يتولَّى المُلك في منطقة بحكم الوراثة ولمدَى الحياة والجمع : أباطرة.

(٢) الديوان : ٩٩.

(٣) كونفوشيوس هو أول فيلسوف صيني يفلح في إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والأخلاقي. ففلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقًا لمثل أخلاقي أعلى. ولقد كانت تعاليمه وفلسفته ذات تأثير عميق في الفكر والحياة الصينية والكورية واليابانية والتايوانية والفيتنامية. ويلقب بنبي الصين

(٤) الديوان ١٤٤

يغب عن وادي النيل منذ الملكة نفرتيتي والتي أثرت في مجريات الأحداث في مصر في وجود زوجها وتوليتها مصر بعده لزوج ابنتها وكذلك تحدث عن أخت بطليموس والذي يعني أنها اخت الأسد وهي الجميلة الساحرة كليوباترا فالمرأة المصرية جمعت من قديم هذه الصفات الرائعة المحبوبة للمرأة من الجمال والقوة والهيبة والحنكة والدربة ، وقد مثل لها بهاتين المرأتين المصريتين من التاريخ القديم.

منذ (نفرتيت)[1] لم يغترب ∴ عن ثرى الوادي البهيج الممرع

أخت بطليموس[2] سحر القيصرين ∴

ومن تناصه التاريخي وتداخله مع التاريخ القديم ما ذكره من أن الدهر سوف ينهي الملوك أمام ديمومة النيل وقوته وتاريخه الطويل والذي طوي ذكر الأكاسرة وهم ملوك الفرس وكانوا قطب الأرض مع الرومان ورؤوسهم القياصرة فهو تناص مع التاريخ الفارسي والروماني ، يقول:

(١) الملكة نفرتيتي والتي يعنى اسمها (الجميلة أتت) هي زوجة الملك أمنحوتب الرابع الذي أصبح لاحقًا أخناتون فرعون الأسرة الثامنة عشر الشهير، وحماة توت عنخ أمون . وكانت تعد من أقوى النساء في مصر القديمة .عاشت فترة قصيرة بعد وفاة زوجها ، وساعدت توت عنخ أمون على تولى المُلك ، وكانت لهذه الملكة الجميلة منزلة رفيعة أثناء حكم زوجها. وهى تنتمى للأسرة الثامنة عشرة ، وعاشت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، اشتهرت نفرتيتي بالتمثال النصفي لوجهها المصور والمنحوت على قطعة من الحجر الجيري في واحدة من أروع القطع الفنية من العصر القديم وهو أشهر رسم للملكة نفرتيتي.

(٢) بطليموس معناه أسد الحرب ويقال: البطالمة أو البطالسة وهم ملوك اليونان كل منهم يسمى بطليموس والبطالسة نسبة الى بطليموس بن لاغوث٣٢٣_٢٨٥ ق م احد قادة الإسكندر المقدوني وأعظمهم حكمة . ينظر : تاريخ ابن الوردي ١/ وتاريخ الجزائر القديم والحديث١/ ٢٧٧ .

سوف يطوى ملك كسرى[١] لو درى ∴ غير باغ ويذل القيصر[٢]

ومن تناصه مع التاريخ القديم حديثه عن نهر النيل وأنه يقف كميزان دقيق للشخوص وكائن حي يؤثر في الناس ويتأثر بهم ويستشعر ما يستشعره الأحياء من مشاعر إنسانية وأحاسيس آدمية ومنها تشجيع المصيب وتحفيزه والانكار علي المخطئ ونقده من مثل قوله في قصيدة : نجوي النيل:

هتفت بفرعون[٣] في عزة ∴ وأنكرت فرعون لما خمل[٤]

والتضرر النفسي والتأثر المعنوي والشعور بالإساءة والتضايق من المساءة وذلك من المحتل الغاشم والمستعمر الظالم عندما يسيطر علي الأرض وينتهك الحرمات فيستاء لهذا النهر كما في قوله في القصيدة نفسها:

(١) كسرى الأول (٥٠١ – ٥٧٩) معروف أيضا باسم أنوشيروان العادل الروح الخالدة واسمه كسرى أنو شروان بن قباذ بن يزدجرد بن بهرام جور . واعتلى العرش بعد ابيه قباذ الأول ووضع الاسس لمدن وقصور وبنى العديد من الجسور والسدود وخلال عهده ازدهرت الفنون و العلوم في بلاد فارس، وكانت الإمبراطورية الساسانية في قمة مجدها وهو أحد الأباطرة الاكثر شعبية في الثقافة الايرانية والأدب .

(٢) الديوان : ٤٠٥

(٣) الفرعون: جرى العرف والعادة والاصطلاح في العصور الحديثة على إطلاق لقب فرعون على الحاكم في مصر القديمة، وذلك جريا على العادة في إطلاق الألقاب على ملوك العالم القديم، فعلى سبيل المثال يطلق على كل من ملك الفرس بكسرى برغم أن من تسمى بذلك هو ملك من ملوكهم، ثم جرت العادة بعد ذلك على تسمية كل ملك فارسي بكسرى، كما تسمى ملوك الروم بقيصر، وملوك الحبشة بالنجاشي.

(٤) الديوان : ٣١١

وســاءك قمبيــز[١] يغــزو الــبلاد ∴ ويبـــذر فيهـــا بـــذر الخلـــل[٢]

ثم يتناص مع التاريخ القديم حين يتحدث عن الإسكندر الذي غز العالم واجتاح مصر فيما اجتاح حيث كانت تحت حكم الفرس فأخذها منهم ولأنه غازي فهو مثار خوف ورعب فرعب النيل وارتاع لهذا الغازي الجديد ويبين الخفيف سرعة فتوح الإسكندر وذلك إشارة إلي ما يذكره التاريخ القديم من أن الإسكندر فتح الفتوح وهو لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره ...

وراعـــك اســـكندر[٣] مقـــبلا ∴ ســـريع الفتـــوح وثيـــق العجـــل[٤]

ويتناص مع التاريخ القديم في حديثه عن قصة يوليوس قيصر والذي غزا مصر بجيوشه وغوت قلبه كليوباترا ملكة مصر وفتنته جمالها وسجرها وبحيل الأنثى استطاعت أن تنسيه ملكه وبلاده حتي ظل بجوارها ويزعمون في سيطرتها

(١) قمبيز ملك الفرس ابن الملك قورش غزا مصر سنة ٥٢٥ ق.م وحكم لمدة أربع سنوات لقب بالألقاب المصرية القديمة مثل ملك الشمال والجنوب وابن رع واتخذ لنفسه لقب حورس موحد الأرضين واتخاذه هذه الألقاب دليل على قوة التقاليد المصرية وضرورتها حتى يستطيع الملك ان يملك الأمر أو ربما الذي دفعه لاتخاذ هذه الألقاب هو معرفته بعظمة وقيمة تلك الألقاب كتقليد للفراعنة ولكن هناك احتمال آخر أنه أراد أن يعطى لحكمه أمام الشعب أنه حكم ذو صبغة مصرية. وقد وصفه هيرودوت قمبيز بأنه شخص مختل وغير سوى استهل حكمه بقتل أخيه و وايضا قتل ألفين من المصريين في منف بعدما قتلوا مئتين من البحارة التابعين له انتقاما من اهلها.

(٢) الديوان : ٣١١

(٣) الإسكندر الثالث المقدوني، المعروف بأسماء عديدة أخرى أبرزها :الإسكندر الأكبر، والإسكندر الكبير، والإسكندر المقدوني، والإسكندر ذو القرنين هو أحد ملوك مقدونيا الإغريق، ومن أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ ، وُلد الإسكندر في مدينة پيلا قرابة سنة ٣٥٦ ق.م، وتتلمذ على يد الفيلسوف والعالم الشهير أرسطو حتى بلغ ربيعه السادس عشر. وبحلول عامه الثلاثين، كان قد أسس إحدى أكبر وأعظم الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم، والتي امتدت من سواحل البحر الأيوني غربًا وصولًا إلى سلسلة جبال الهيمالايا شرقًا. يُعد أحد أنجح القادة العسكريين في مسيرتهم، إذ لم يهُزم في أي معركة خاضها على الإطلاق.

(٤) الديوان : ٣١١

علي القيصر أنها عمدت إلى الظهور فجأة أمامه ملفوفة في سجادة بحيث تستطيع التوسل إليه لمساعدتها في تحقيق غايتها في التغلب علي أخيها الذي يقاسمها في الملك بطليموس الثاني عشر. وقد أسرت كليوباترا القيصر بجمالها ومفاتنها ، أو بالمنطق الجلي بأنها ستكون حاكمًا أفضل من شقيقها . وساعدها قيصر على التغلب على بطليموس الذي أغرق في نهاية المعركة يقول الخفيف:

وقيصر حين غزته الجفون ∴ وجازت عليه ضروب الحيل[1]

فهو يتحدث عن هذا الملك الروماني الذي غلبته العيون وأوقعته في حبه وأسرته فكان عبدا لها ينفذ ما تريده ويفعل ما تشتهيه وملكها من الملك وحارب أخاها من أجلها.

ثانيا : تناصه مع التاريخ الإسلامي.

التاريخ الإسلامي عنى بأحداثه المتشابكة ،ومحطاته الفاصلة ،وقصصه الفاعلة ، التي ما انفكت تثير حماسات الشعراء ، وقرائحهم ، وتلهب نوازعهم ، وهياماتهم ، بما ينسجم مع رؤاهم الفكرية ومتطلباتهم العاطفية .

وقد استوحى الخفيف التاريخ الإسلامي بأحداثه وقصصه ،وأقواله المأثورة على لسان شخصياته ،وعادة ما يستخدم الأحداث الكبرى والمواقف الجليلة والمعارك المضيئة بالنصر في تاريخنا العربي استخداما يلون أغراضه بألوان الماضي استثارة للحماية ودعوة للاحتذاء والتشابه. [2]

وبالجملة فقد تناص مع التاريخ الإسلامي وصاغ حياة الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم في شعره صياغة شبه كاملة في جزء الإسلاميات.

---

(١) الديوان : ٣١١

(٢) ينظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى ، تح :إحسان عباس ،دار صادر ، بيروت ط١٩٩،١١،١/٢٣٦.

والأمثلة من شعره علي ذلك كثيره ومنها: في قصيدته : إلى النهر الغاضب يتحدث عن تاريخ النيل مستعرضا فيها أهم الأحداث التي مرت بمصر ومن أهمها دخول الفتح الإسلامي إلي مصر في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبقيادة عمرو بن العاص والذي انست له البلاد واستراحت وأمنت بعد طول الظلم الذي عانته وهي ترزح تحت نير الظلم الروماني ،فجاء الفتح بالإسلام فرأي الناس الطريق السوي والعدل الشامل الذي استمتع به أبناء مصر جميعا ولم تختص به طائفة دون أخري كما في العهود السابقة حيث كان العدل لجهة دون أخري ولناس مخصوصين وهم المقربون من الملك ودوائر الحكم أو الذين يملكون المال الذي يغيرون به النفوس ويخربون به الذمم ، لكن في ظلال الإسلام لا يعرف هذا ويتناص الخفيف مع الأحداث ويصوغها بطريقة الخطاب التقريري لنهر النيل والذي استقبل رسالة الإسلام في فرحة وسرور ورضا وحبور فرارا من ظلم الروم وإجحافهم وقهرهم للمصريين وجورهم واضطهادهم الواضح لهم واستهزائهم بدينهم ، فكما يؤكد المؤرخون أنه في ظل الحكم الروماني لمصر شعر المصريون باضطهاد كبير والذي كان من أهم مظاهره : إلغاء مجلس المدينة الذي كان يعقد أثناء فترة الحكم البطلمية لمصر، والأهم من هذا الضرائب الباهظة التي تفرض علي المصريين وهو ما أرهق المصريين جميعا ،عدم مشاركة المصريين في الحكم، الاستغلال الاقتصادي لثروات مصر. يقول الخفيف:

وانست في مصر عهد الرشاد ∴ وقد شمل العدل أركانها

تلقى الرسالة في غبطة ∴ ولو كره الروم إعلانها[1]

وفي قصيدة : وداع .يقول:

(١) الديوان :٩٢

تعلـــــل أطفالهـــــا تـــــارة ∴ وطـــورا تصـــيح بهـــم زاجـــره
فتصـــفر مـــنهم وجـــوه صـــفار ∴ تظـــل إلـــى وجههـــا نـــاظره
وتجهـــش حينـــا إذا أبصـــرت ∴ دموعـــا بآمـــاقهم حـــائره
يلـــوح لهـــا اليـــتم فـــي دمعهـــم ∴ فتســـقط مـــن وهـــن خـــائره[1]

وهو هنا يشير إلي القصة التي ترد في كتب الرقائق والمواعظ والتي تذكر ما فعله أمير المؤمنين مع أم الأيتام التي رآها في الليل وهو يتفقد رعيته فرآها تعلل اولادا وتلهيهم بقدر فارغة علي النار حتي ناموا فهو جوعي وصل بهم جوعهم للصراخ والعويل وليس بيدها شئ تطعمهم به فذهب أمير المؤمنين وجاء لهم بطعام من دقيق وزيت وهو يحمله بنفسه وأعد لهم الطعام بنفسه ،وهي اشارة تاريخية كبري تفهم عدل دولة الإسلام وخوف حكامها من ربهم وحدبهم علي الرعية ورقة قلوبهم لها ،وهذا الموقف وامثاله الكثير صورة بيضاء نقية لتاريخ الإسلام تناص معه الشاعر الخفيف.

وفي قصيدة : بين الشرق والغرب . يطالب الشرق بالنهوض والقيام من عثرته واسترجاع امجاده مستلهما التاريخ الإسلامي ومتناصا مع أحداثه ، وقد جاء بمعركة حطين وهي خير مثال للصراع بين الغرب الغازي والشرق الذي يصد ويرد ويثور وفي النهاية الغلبة لأصحاب الحق وهذا الذي اثبتته تلك المعركة ...

حطـين[2] هـذا وقتهـا فاحشـدوا ∴ أبطـالكم ،هـذا أوان الطمـاح[3]

(١) الديوان : ١٣٤

(٢) معركة حطين معركة فاصلة بين المسلمين والصليبيين بقيادة صلاح الدين الأيوبي ، وقعت في يوم السبت٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣هـ الموافق ٤ يوليو ١١٨٧ م بالقرب من قرية المجاودة ، بين الناصرة وطبرية وقد انتصر فيها المسلمون انتصارا مبينا ، أعقبه استرداد معظم المدن والحصون والموانئ في بلاد الشام والتي كان الصليبيون يخضعونها تم توجت الانتصارات بفتح بيت المقدس.

(٣) الديوان :١٥٠

ثم يقرر قرارًا كبيرًا علي لسان الشرق فيبين أن الشرق سيستعيد سيرة أبطاله العظام ومنهم سيف الله المسلول خالد بن الوليد وأدهي دهاة العرب وفاتح مصر عمرو بن العاص وفاتح بيت المقدس وهازم الصليبين صلاح الدين الأيوبي هؤلاء الأبطال العظام عندما نستعيد سيرتهم ومنهجهم في القوة والعزة والإباء سيرجع الشرق سيد الأرض أو علي الأقل سيكون مناظرا للغرب في تقدمه وهذا تناص تاريخي مع التاريخ الإسلامي ورجاله:

سنعيد للدنيا بطولة خالد[1] ∴ ومضاء عمرو واقتحام صلاح[2][3]

ومن قصيدة : نجوي النيل. يستلهم المشهد التاريخي العظيم لفتح مصر ودخول عمرو بن العاص لها وفرحة المصريين به بفرحة المسلم المجتهد بدخول

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي ٣٠ قبل الهجرة :٢١ هـ صحابي وقائد عسكري مسلم ، لقّبه الرسول صلي الله عليه وسلم بسيف الله المسلول اشتهر بحسن تخطيطه العسكري وبراعته في قيادة جيوش المسلمين في حروب الردة وفتح العراق والشام، في عهد خليفتي الرسول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . يعد أحد قادة الجيوش القلائل في التاريخ الذين لم يهزموا في معركة طوال حياتهم، فهو لم يهزم في أكثر من مائة معركة أمام قوات متفوقة عدديًا من الإمبراطورية الرومية البيزنطية والإمبراطورية الساسانية الفارسية وحلفائهم، بالإضافة إلى العديد من القبائل العربية الأخرى. اشتهر خالد بانتصارات كثيرة وحاسمة مثل اليمامة...، واستخدام تكتيكات عالية كما في معركتي الولجة واليرموك.

(٢) الملك الناصرأبو المظفر صلاح الدين والدنيا يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدُويني التكريتي :٥٣٢ :٥٨٩هـ، المشهور بلقب صلاح الدين الأيوبي قائد عسكري أسس الدولة الأيوبية التي وحدت مصر والشام والحجاز وتهامة واليمن في ظل الراية العباسية، بعد أن قضى على الخلافة الفاطمية التي استمرت ٢٦٢ سنة .قاد صلاح الدين عدّة حملات ومعارك ضد الفرنجة وغيرهم من الصليبيين الأوروبيين في سبيل استعادة الأراضي المقدسة التي كان الصليبيون قد استولوا عليها في أواخر القرن الحادي عشر، وقد تمكن في نهاية المطاف من استعادة معظم أراضي فلسطين ولبنان بما فيها مدينة القدس، بعد أن هزم جيش بيت المقدس هزيمة منكرة في معركة حطين .

(٣) الديوان : ١٥٨

الهلال فهو مثار نظر للعيون والسنة فيه الابتهال بالدعاء لله ، وجمال الهلال عند ظهوره يشد اللب ويأخذ النظر وهذا تصوير لهذا المشهد وتناص معه :

تلقيت عمرا[١] لقاء الحنيف ∴ تراءى الهلال له فابتهل[٢]

من قصيدة: تحية الرسالة في عامها السابع. يتناص مع التاريخ مطالبا مجلة الرسالة أن تنبه الغافلين عن تاريخهم المتجاهلين له أو الذين يجهلونه وتعرفهم بقيمة هذا التاريخ ومعرفة مالهم وما يملكونه من أحداث رائعة ، وسلف يستحق أن نفخر به ونفاخر...

وحدثي الغافل عن مجده ∴ عن (خالد) الشرق وعن (عمره)[٣]

(١) عمرو بن العاص السهمي القرشي الكناني ٥٩٢ م: ٦٨٢ م ، أبو عبد الله ،ابن سيد بني سهم من قريش العاص بن وائل السهمي أرسلته قريش قبل إسلامه إلى الحبشة ليطلب من النجاشي تسليمه المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة فرارًا من الكفار وإعادتهم إلى مكة لمحاسبتهم وردهم عن دينهم الجديد فلم يستجب له النجاشي . وبعد إسلامه فتح مصر بعد أن قهر الروم وأصبح واليًا عليها بعد أن عينه الخليفة عمر بن الخطاب.و أبرز ما عُرف عن عمرو ابن العاص أنه كان أدهى دهاة العرب في عصره ، فقد نقلت عن سعة حيلته وعبقرية تدبيره روايات تشبه الأساطير ، حتى إن الخليفة عمر بن الخطاب لقبه بأرطبون العرب.

(٢) الديوان : ٣١١

(٣) أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي، المُلقب بالفاروق، هو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول محمد، وأحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيرًا ونفوذًا. هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن علماء الصحابة وزهّادهم. تولّى الخلافة الإسلامية بعد وفاة كان ابن الخطّاب قاضيًا خبيرًا وقد اشتهر بعدله وإنصافه الناس من المظالم، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وكان ذلك أحد أسباب تسميته بالفاروق، لتفريقه بين الحق والباطل. وهو مؤسس التقويم الهجري، وفي عهده بلغ الإسلام مبلغًا عظيمًا، وتوسعت الدولة في عصره حتي شملت كثير من البلاد ومنها العراق ومصر وليبيا والشام وفارس وخراسان وشرق الأناضول وجنوب ،أرمينية وسجستان ، وهو الذي أدخل القدس تحت حكم المسلمين لأول مرة وهي ثالث أقدس المدن في الإسلام، وبهذا استوعبت الدولة الإسلامية كامل أراضي الإمبراطورية الفارسية الساسانية وحوالي ثلثيَ أراضي الامبراطورية البيزنطية. تجلّت عبقرية عمر بن الخطاب العسكرية في حملاته المنظمة المتعددة التي وجهها لإخضاع الفرس الذين فاقوا المسلمين قوة، فتمكن من فتح كامل إمبراطوريتهم خلال أقل من سنتين، كما تجلّت قدرته وحنكته السياسية والإدارية عبر حفاظه على تماسك ووحدة دولة كان حجمها يتنامى يومًا بعد يوم ويزداد عدد سكانها وتتنوع أعراقها.

ثم تحدث عن الخليفة العظيم وهو من أعظم عظماء أمتنا– بعد الصحابة– الذين طأطأ الروم رؤوسهم له ، وأحنوا هاماتهم رهبة منه ، ذلكم هو الخليفة المجاهد هارون الرشيد، ذلك الرجل الذي حاول أعداء تاريخنا و أذنابهم أن يصوروه بصورة شارب الخمر الماجن، صاحب الجواري الحسان والليالي الحمراء، العسوف الظلوم ، مع أنه كان من أعظم خلفاء الدولة العباسية جهادا وغزوا واهتماما بالعلم والعلماء ، و بالرغم من هذا كله أشاعوا عنه الأكاذيب وأنه لاهم له سوى الجواري والخمر والسكر، ونسجوا في ذلك القصص الخرافية والحكايات الواهية. قال ابن خلكان عنه في كتابه وفيات الأعيان: "كان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي".

ويمن (هارون)[1] وإقباله ∴ وملك (هارون) على بتره

(١) هارون الرشيد هو الخليفة العباسي الخامس، ومن أشهر واعظم الخلفاء العباسيين والعرب . عاش في العراق وحكم بين ٧٨٦و٨٠٩ م. وهو هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بنعبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .ولد حوالي٢٤ مارس ٧٦٣م والدته الخيزران بنت عطاء .وهو أكثر الخلفاء العباسيين إثارة للجدل في يؤرخ عنه ،لكن الحقيقة تؤكد أنه من أعظم الخلفاء حيث إنه من أكثر خلفاء الدولة العباسية جهادا وغزوا واهتماما بالعلم والعلماء، وعرف عنه أنه الخليفة الذي يحج عاما ويغزو عاما وكان يلقب بأمير المؤمنين.تُوفي في ٣ جمادى الآخر ١٩٣هـ، الموافق ٤ إبريل٨٠٩ م، بعد أن قضى في الخلافة أكثر من ثلاث وعشرين سنة، وتعتبر هذه الفترة العصر الذهبي للدولة العباسية والعالم العربي. وقد دفن في مكان ما وقبره مجهول حتي اليوم.

وقد تناص الخفيف مع التاريخ الإسلامي في مراحله المختلفة فقد تناص مع تاريخ وقعة كربلاء[١] وصاغها في قصيدة : شهيد كربلاء. حيث ذكر تفصيلات هذه المعركة المهمة في التاريخ الإسلامي لأنها أثرت كثيرا في مجريات الأحداث في دولة الإسلام فيما بعد إلي يوم الناس هذا.

من قصيدة :تحية الرسالة فى عامها الثالث . ويتناص مع التاريخ الاسلامي ويركز علي الخليفة هارون الرشيد لأن عصوره هو الصورة المثلي العالية والغالية لدولة الإسلام حيث كان ينظر إلي السحابة ويقول لها أمطري أني شئت فسوف يأتيني خراجك ،كما يذكره بحواضر الإسلام كبغداد ودمشق وهي التي كانت تسمي جلق .

تذكر بغداد عهد الرشيد ∴ وتحصى بجلق أقيالها[٢]

حيث كانت دمشق لفترة طويلة عاصمة للخلافة الإسلامية وفيها أبطال الإسلام وأقيال الأمة فالرجال أرباب الطموح وأصحاب المواهب والكبار يتجهون إلي الحاضرة ويميلون إلي العاصمة حيث محط الأنظار ومركز القرار.

(١) معركة كربلاء وتسمى أيضًا واقعة الطف هي ملحمة وقعت على ثلاثة أيام وختمت في ١٠ محرم سنة ٦١ للهجرة وكانت بين الحسين بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله صلي الله عليه وسلم، والذي صار سيد الشهداء بعد انتهاء المعركة، ومعه أهل بيته وأصحابه، وجيش تابع ليزيد بن معاوية. تعتبر واقعة الطف من أكثر المعارك جدلًا في التاريخ الإسلامي فقد كان لنتائج وتفاصيل المعركة آثار سياسية ونفسية وعقائدية لا تزال موضع جدل إلى الفترة المعاصرة، حيث تعتبر هذه المعركة أبرز حادثة من بين سلسلة من الوقائع التي كان لها دور محوري في صياغة طبيعة العلاقة بين السنة والشيعة عبر التاريخ وأصبحت معركة كربلاء وتفاصيلها الدقيقة رمزا للشيعة ومن أهم مرتكزاتهم الثقافية وأصبح يوم ١٠محرم أو يوم عاشوراء، يوم وقوع المعركة، رمزًا من قبل الشيعة

(٢) الديوان :٢١٢

ثالثاً : تناصه مع التاريخ الحديث والمعاصر.

يؤرخ بعض الباحثين للتاريخ الحديث بدءا من القرن السادس عشر الميلادي وفيه دخول العثمانيين فاتحين للأقطار العربية[1] ،وقد تخلل هذا التاريخ أحداث عظام أثرت على حياة البشر ،وأفكارهم ووجداناتهم ،وكان الشعراء في مقدمة هؤلاء في تعاطيهم وتفاعلهم مع قضايا العصر الحديث وأحداثه.

وفي قصيدة : بين الشرق والغرب .وهو يتحدث عن تشدق الغرب بالحرية والسلام مع أنه تستعمر البلاد ويحتلها ويشرد أهلها ويقتلهم في سبيل مصلحته ولأجل منفعته ،ثم الأعجب والأغرب تفاخره بعكس ذلك وتباهيه وادعائه رعايته للبشرية وحفاظه علي المبادئ الانسانية فيرد الشاعر الخفيف علي هذا بسؤال ظاهره الاستفهام وباطنه الإنكار والتوبيخ فيقول:

أين هذا البغي من حرية

طالما غازلتموها وإخاء![2]

والحرية والإخاء من الشعارات التي رفعتها وخرجت بها الثورة الفرنسية والحرية والإخاء ضلعان من ثلاثة اضلع لمثلث الثورة الفرنسة وهم الحرية والإخاء والمساواة .

ومن تناصه مع التاريخ الحديث تناصه مع تاريخ الهند في العصر الحديث وحديثه عن الزعيم الهندي المهاتما غاندي والذي أسس ما عرف في عالم السياسية بـ(المقاومة السلمية) أو فلسفة اللاعنف (الساتياراها)، وهي مجموعة من المبادئ تقوم على أسس دينية وسياسية واقتصادية في آن واحد ملخصها الشجاعة

(١) انظر تاريخ العرب الحديث .د .رأفت الشيخ ،عين للدراسات والبحوث ،القاهرة ١٩٩٤م،ص١١.

(٢) الديوان :١٤٥

والحقيقة واللاعنف، وتهدف إلى إلحاق الهزيمة بالمحتل عن طريق الوعي الكامل والعميق بالخطر المحدق وتكوين قوة قادرة على مواجهة هذا الخطر باللاعنف أولا ثم بالعنف إذا لم يوجد خيار آخر.يقول الخفيف:

واذكر الهند ففي محنتها ∴ حجة تنسخ قول المبطلين

دخل السجن بريئا شيخها[1] ∴ ساخرا من باطل المستكبرين

حمل العبء على أسقامه ∴ وكفاه لو دروا عبء السنين[2]

وهو يتحدث أيضا عن عدم رحمة المستعمرين له رغم كبر سنة وضعف قوته ومقاومته السلمية وهو تناص مع تاريخ الهند بتفصيلاته.

وفي قصيدة : في ذكري دنشواي . تراها كلها تناص تاريخي مع حادثة دنشواي الشهيرة وقد حدثت حادثة دنشواي في يونية ١٩٠٦م وهي تعد آخر فظائع المعتمد البريطاني اللورد كرومر في مصر. و تتلخص الحادثة في أن بعض الضباط الإنجليز خرجوا لصيد الحمام بالقرب من قرية دنشواي، إحدى قري المنوفية. فحذرهم الأهالي أن اقتراب البارود من أجران القمح يمكن أن يشعل حرائق كبيرة. ولكن الضباط الإنجليز لم يهتموا. فحدث أن أخطأت إحدى طلقات البنادق فأصابت

(١) اسمه موهانداس كرمشاند غاندي سياسي وزعيم روحي في الهند، ولد في ١٤ أكتوبر عام ١٨٦٩.بأمارة بوربندر التي تقع في ولاية غوجارات الهندية، وهو سليل عائلة سياسية لها باع طويل في العمل السياسي، حيث كان والده رئيس وزراء إمارة بوربندر، قضى غاندي طفولة عادية ثم تزوج وهو في سن الثالثة عشرة من عمره بحسب التقاليد الهندية، سافر بعدها غاندي إلى بريطانيا في العام ١٨٨٢.لدراسة القانون، ليعود إلى الهند عام ١٨٩٠. ويواجه مصاعب كبيرة في حياته وكان الزعيم الروحي للجمهورية الهندية التي استطاعت على يدّيه الحصول على استقلاله وأصبح من كبار السياسيين العالميين

(٢) الديوان :٩٦.

امرأة وقتلتها. فهاج الأهالي علي الضباط وطاردوهم، حتي أصيب أحد الإنجليز بضربة شمس ومات،ولكن الإدارة البريطانية استغلت هذه الحادثة لإظهار قسوة شديدة ترهب الحركة الوطنية الصاعدة. فأحالت اثنين وخمسين فلاحًا للمحاكمة وانتهت المحاكمة إلي الحكم بشنق أربعة منهم ومعاقبة اثني عشر بالأشغال الشاقة المؤبدة وجلد خمسة.

وفي قصيدة : بين الشرق والغرب. يتناص مع قصة اليهود وفلسطين حيث تمكنت عن طريق المال شراء عصبة الأمم ، وبريطانيا – المستعمرة لمعظم الدول العربية – فأعطتهم وعد بلفور والذي من بعده ضاعت فلسطين وضاع معها وحدة العرب وقد نعتهم بأنهم ملعنون ومطرودون من رحمة الله وقلوب الناس لأنهم الضلّال الذي يغشون ويكذبون ويضللون في كل شيء ويبخسون حقوق الناس ويقللونها بل ويأكلونها ويأخذون ما ليس لهم ويستحلون أشياء الناس.

بالذهب الباغي اشترتها يهود ∴ وعصبة الأمن عليها شهود[1]

في الأرض ملعونون ما طوفوا ∴ كم بخسوا الكيل وكم طففوا[2]

ومن قصيدة :الجزائر المجاهدة . يتحد عن الفتاة الجزائرية المجاهدة جميلة بوحريد والتي ألهبت مشاعر الوطنية في الرجال والحماسة في الشباب وملأت قلوب المستعمرين غيظا وحنقا وقد فصل حياتها في شعره في هذه القصيدة فقال:

(١) الديوان :١٥٢

(٢) الديوان :١٥٢

مـلأت جميلـة[١] قلـب كـل مجاهـد ∴ بأسـا وسـار النصـر فـى خطواتهـا

لله كـم خاضـت جميلـة حومـة ∴ والغضـبة الصـماء فـى نظراتهـا

لمامـة والصـائدون بمرصـد ∴ طماحـة تمضـى إلـى غاباتهـا

جوابـة والمـوت يـدنو موجـه ∴ وثابـة والأرض فـي رجفاتهـا

غـذيت للأجيـال أمـس بلاءهـا ∴ ونظمـت فـي القضـبان مـرّ صـفاتها

مغلولـة والسـوط يـدمى جسـمها ∴ والنصـر رفـاف علـى قسـماتها[٢]

(١) جميلة بوحريد ولدت عام ١٩٣٥م في حي القصبة، الجزائر العاصمة وهي مقاومة جزائرية من المناضلات اللائي ساهمن بشكل مباشر في الثورة الجزائرية على الاستعمار الفرنسي لها، في منتصف القرن الماضي، كان لوالدتها التأثير الأكبر في حبها للوطن فقد كانت أول من زرع فيها حب الوطن وذكرتها بأنها جزائرية لا فرنسية رغم سنها الصغيرة آنذاك واصلت جميلة تعليمها المدرسي ومن ثم التحقت بمعهد للخياطة والتفصيل فقد كانت تهوى تصميم الأزياء ولما اندلعت الثورة الجزائرية عام١٩٥٤ حيث انضمت إلى جبهة التحرير الوطني الجزائرية للنضال ضد الاحتلال الفرنسي وهي في العشرين من عمرها ثم التحقت بصفوف الفدائيين وكانت أول المتطوعات لزرع القنابل في طريق الاستعمار الفرنسي، ونظرًا لبطولاتها أصبحت المطارد الأول. تم القبض عليها عام١٩٥٧م عندما سقطت على الأرض تنزف دمًا بعد إصابتها برصاصة في الكتف وألقي القبض عليها وبدأت رحلتها القاسية من التعذيب وبعد ثلاث سنوات من السجن تم ترحيلها إلى فرنسا وقضت هناك مدة ثلاث سنوات ليطلق سراحها مع بقية الزملاء.

(٢) الديوان : ١٦٢.

عبد القادر[١] الغازي ومن خلفوا ∴ فذادوا البغي عن حرماتها[٢]

وقد تحدث عن بطل الجزائر عبد القادر الجزائري الشاعر الثائر وما صنعه مع الاحتلال وتناص مع تاريخ الجزائر في نفس القصيدة .

وقد تناص مع التاريخ الأوروبي والفرنسي وتحدث عن بطلة من بطلان فرنسا وهي جان دارك والتي جاهدت مع قومها ضد الإنجليز ثم بخيانة المال قبض عليها وحرقت وهي في ريعان شبابها وقد ذكرها الخفيف وتناص مع تاريخها في أكثر من قصيدة. منها :

أين جان دارك جحدتم ويحكم ∴ ما عناها ونسيتم ما دهاها[٣]

ومنها قوله:

(١) الأمير عبد القادر بن محي الدين المعروف بعبد القادر الجزائري هو كاتب وشاعر وفيلسوف وسياسي ومحارب، اشتهر بمناهضته للاحتلال الفرنسي للجزائر. ولد قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري يوم الثلاثاء٦سبتمبر ١٨٠٨ الموافق لـ ١٥ رجب ١٢٢٣هـ، رائد سياسي وعسكري مقاوم قاد جيش أفريقيا خمسة عشر عاما أثناء غزو فرنسا للجزائر هو أيضا مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورمز للمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار والاضطهاد الفرنسي .اعتبره الفرنسيون" يوغرطة الحديث خاض معارك ضد الاحتلال الفرنسي للدفاع عن الوطن وبعدها نفي إلى دمشق وتوفي فيها يوم٢٦ مايو ١٨٨٣م.ينظر: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء غلي الانحدار ، د. خليل اينالجيك ، ترجمة :د. محمد .م. الأرناؤوط ، دار المدار الإسلامي.

(٢) الديوان :١٦٤

(٣) الديوان : ١٧٠

وفتـاة مثـل (جـان دارك)[1] اعتلـت ∴ صــهوة المجـد ولـم تعـرف هوانـا[2]

ومـن قصـيدة : مـن نشـيد الحريـة . يتنـاص مـع التـاريخ الفرنسـي والأمريكـي ويذكر تاريخ رموز هذه البلاد فيذكر تاريخ الفيلسوف والكاتب الفرنسي فولتير والذي دعا للحريات والمساواة فأنصت لـه الدهر ،اصغي وهذه إشارة علـي شـهرته الكبيرة يقول:

فـــي نثـــره الويـــل وفـــى شـــعره ∴ (فـولتير)[3] والـدهر لـــه منصـت[4]

ثم تنـاص مـع التـاريخ الأمريكـي فذكر الـرئيس ابراهام لنكولن والـذي استطاع توحيد الولايات المتحدة واسترجاعها بقوة السلاح بعد أن تفككت فصارت عن طريق الوحـدة مـن اكبـر دول العـالم وهـو يقصـد هـذا العمـل بالـذات وهـو التمسـك والوحـدة

(١) جان دارك فتاة فرنسية ملقبة بعذراء أورليان ، ولدت لعائلة من الفلاحين في الوسط الشرقي من فرنسا عام ١٤١٢، وتُعدّ بطلة قومية فرنسية وقديسة في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية . ادّعـت جـان دارك الإلهـام الإلهـي، وقـادت الجـيش الفرنسـي إلـى عـدة انتصـارات مهمّـة خـلال حرب المئـة عام، ممهدةً بـذلك الطريق لتتويج شارل السابع ملكًا على البلاد. قُبض عليهـا بعـد ذلـك وأُرسـلت إلـى الإنجليـز مقابـل المـال، وحوكمـت بتهمـة "العصـيان والزندقة"، ثم أُعدمت حرقًا بتهمـة الهرطقـة في ٣٠٠ مايو ١٤٣١ وكان عمرها تسعة عشر عاما. وقصتها في مختصر إظهار الحق ص١٨٩ وتفسير المنار في اكثر من موضع.

(٢) الديوان : ٢٢٩

(٣) فرانســوا مــاري آروويــه والمعــروف بفــولتير ولــد ٢١ نــوفمبر ١٦٩٤ كاتــب وفيلسوف فرنسي عاش فيما يسمي بعصر التنوير .عُرف بنقده الساخر، وذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الظريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة، والمساواة وكرامة الإنسان ، وتوفي ٣٠ مايو ١٧٧٨م.

(٤) الديوان : ١٩٠.

وجمع الشمل والذي يفتقده العرب وهو داؤهم الأكبر التفرق والتشرزم فهو يضع لهم ابراهام كمثال لما ينبغي أن نستلهمه من التاريخ ونسعي لتقليده.

عـن نـور (إبراهـام)[١] لا تـذهلي ∴ فـي دهـر قبلـة المـدلج

غنـى ب(إبراهـام) واسـتلهمى ∴ رسـالة فـى عرسـها استشـهدا[٢]

ومن قصيدة : مدح وتكريم الهلالي. يتناص مع تاريخ مصر الحديث ويمدح الملك فاروق وعرشه وهو يكرم الهلالي ويشير إلي ملك مصر والذي يتمثل في عرش فاروق والذي وصفه بأنه يعز حمي البلاد ويجير من طلب الإجارة ويحمي من يطلب الحماية ،ويغيث من طلب الغوث فهو عرش مصر.

مـن عـرش فـاروق[٣] تنـزل وحيهـا ∴ عـرش يعـز بـه الحمـى ويحـار[٤]

(١) ابراهام لينكون: ولد ١٢فبراير ١٨٠٩م وهو الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية في الفترة ما بين١٨٦١م إلي ١٨٦٥م بالرغم من قصر الفترة الرئاسية للرئيس لينكون إلا أنه استطاع قيادة الولايات المتحدة الأمريكية بنجاح بإعادة الولايات التي انفصلت عن الاتحاد بقوة السلاح، والقضاء على الحرب الأهلية الأمريكية، وتوفي ١٥أبريل ١٨٦٥م.

(٢) الديوان :١٩١

(٣) الملك فاروق ولد١١ فبراير ١٩٢٠م آخر ملوك المملكة المصرية وآخر من حكم مصر من الأسرة العلوية .استمر حكمه مدة ستة عشر سنة إلى أن اطاح به تنظيم الضباط الاحرار في ثورة ٢٣ يوليو واجبره على التنازل عن العرش لابنه الطفل أحمد فؤاد والذي كان عمره حينها ستة شهور والذي ما لبث أن عزل في١٨ يونيو ١٩٥٨م وبهذا تحولت مصر من ملكية إلى جمهورية ، وبعد تنازله عن العرش أقام في منفاه بروما إلى أن توفي بها في١٨ مارس١٩٦٥م ودفن أولا في مقابر إبراهيم باشا في منطقة الإمام الشافعي ثم نقلت رفاته في عهد الرئيس محمد أنور السادات إلى المقبرة الملكية بمسجد الرفاعي بالقاهرة تنفيذًا لوصيته.

(٤) الديوان: ٢٠٩

ومن قصيدة : نجوي النيل. يتحدث عن الاحتلال الفرنسي لمصر والذي اجتاح البلاد واستعمرها بجنوده وفي المقابل جند مصر كانوا هملا منسيا وجيشا لا يذكر حيث كانوا في سفل ضعفهم وقمة هوانهم عقيب تولي المماليك مقاليد البلاد وتركهم لخير الجنود واستبدالهم بالمماليك من كل نواحي الارض .وهذا من تاريخ مصر الحديث.

دهـــاك الفرنســـي فـــى جنـــده ∴ وجنــدك يــا نيــل بعــض الهمــل[1]

١ الديوان : ٣١١

المطلب الثالث

التناص الأدبي

الشاعر جزء من المنظومة الثقافية التي تتلاقح فيما بينها ،وتفاعل إما بالمقاربة مع معطياتها أو المعايرة وبتواصله مع محيطه الثقافي ،لاسيما الأدبي تتشكل رؤاه الفكرية ،وتتعمق احساساته الفنية؛ لذا لا تخلو تجليات الإبداع الفني من جينات دلالية أو أسلوبية تربط النص الحاضر بنص سابق عليه ،وقد يكون الترابط بينهما مقصودا واعيا من قبل المبدع الذى يعمد إلى الامتصاص من تجارب السابقين ،إذ إن التجارب الإبداعية تتقاطع في سياقها الدلالي والنفسي ،وتتشابه في بواعثها ووظائفها ويتجلى تقاطعها وتشابهها في زمن إبداع النص حينما تتوهج ذاكرة المبدع من إضاءات نصية مخزونة في ذاكرته الحية ،وقد يتخلق الترابط بين النص الإبداعي الحاضر والنص الإبداعي السابق من اللاوعي الجمعي ،فيكون الامتصاص غير مقصود ،لكنه ينساب من حنايا الإرث الثقافي[١].

ومن الطبيعي أن يكون الموروث الأدبي قرب المصادر التراثية إلى نفوس الشعراء المعاصرين ؛لأن شخصياته معبرة عن ضمير عصرها وصوته الأمر الذى أكسبها التأثير على الشعراء في كل عصر وكونه أيضا أكثر طواعية للشاعر المعاصر والأقدر على استيعاب تجربته المختلفة [٢]،وأيضا لأن تجارب الشعراء على اختلاف مذاهبهم متقاربة حيث إنها تقوم بالدور التنويري ذاته .وعليه فقد تتضمن القصيدة تناصات أدبية متنوعة في أجزائها المختلفة تعبر عن المقروء الثقافي في

(١) التناص الأدبي في شعر يوسف الخطيب .د. عمر عتيق.ص١٩٩.

(٢) انظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي الحديث. د. على العشري زيد ص١٣٨.

ذاكرة الشاعر كجزء من خلال لغته وصوره وأسلوبه [1]الأدب قديمه وحديثه عربيه وأجنبيه مع الإشارة إلى أن الشعر العربي كان هو السائد في أعماله الشعرية الجاهزة وظف نماذجه وحاكى نصوصه بالمحاورة والاقتباس والاستلهام للتعبير عن واقعه وتجربته .

أولا : مع الأدب القديم.

يعد التناص مع الشعر العربي القديم أحد الآليات التي توسلها الشاعر العربي المعاصر ؛لتخصيب نصه عن طريق تماهيه مع تجارب فنية زمانها ومكانها لعوامل التشكل والتحول والتطور وعبرت عن هموم عصرها بكل ما فيه تحولات سياسية وتحولات فكرية وحضارية ،فتوغلت في وجدان وذاكرة المتلقي بسبب إنسانيتها تلك[2].وقد استطاع الخفيف إشباع نزعته الشعرية وقيمه التعبيرية فعبر عن قضايا مهمة ومنها حنينه لوطنه ،وتوقه لوحدة الأمة العربية ،وللحرية ،والعدالة من خلال استحضاره لنماذج الشعر القديم وإعادة صياغتها وفق رؤيته وفهمه لطبيعة الشعر ودوره في الحياة الإنسانية ، فالشاعر المعاصر لا يستطيع أن يكون لنفسه مكانة عالية ومنزلة رفيعة إلا غذا استعان بتراثه والأخذ من ميراثه القديم ولا يكون فضل لأى شاعر معاصر ،على سابقوه ممن عاصروه إلا بفضل هؤلاء الذين سبقوه عليه !!... فمع عدم المعذرة من جميع منظري هذه الحداثة ...وما بعدها ... فإنني أقرر أنه لن يصل المبدع إلي البلاغة والفصاحة والصورة الشعرية في صورتها العالية

(١) انظر :التناص نظريا وتطبيقيا ،د. أحمد الزغبى ، ص ١٥٣.

(٢) انظر :التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر :أحمد العوضي أنموذجا ،عصام واصل ، دار غيداء، عمان – لأردن ط١٤٣١،١هـ/٢٠١١م ،ص١١٩.(بتصرف كبير).

وحدها الأقصى ،إلا بالاستعانة بأحفل ما في مكنوزه الحضاري من استذكارات، وايحاءات .ماضيا .وحاضرا .وحتى أقاصي الزمان.[١]

ومن تناصه مع أدبنا القديم قوله :

تـــرى نـــور القضـــية فـــي ذراه ∴ وتســـمع صـــوتها ســـحرا حـــلالا[٢]

السحر الحلال هذه العبارة صارت من علامات المعني المراد به الكلام الرائع المعجب الرائق الخلاب المثير لكوامن النفس والمحرك للعقل وقد جاء في الشعر كثير وممن ذكره ابن الرُّومِيِّ في قَوْلَهُ:

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهَا ∴ لَمْ تَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ

إِنْ طَالَ لَمْ يَمْلُلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ ∴ وَدَّ الْمُحَدِّثِ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزْ

ولعله وغيره من الشعراء قد اخذه من كلمة لسادس الراشدين رضي الله عنه فقد رُوِيَ" أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَلَّمَهُ رَجُلٌ فِي حَاجَةٍ بِكَلَامٍ أَعْجَبَهُ فَقَالَ هَذَا السِّحْرُ الْحَلَالُ[٣]

وقد استعملها الخفيف مرة أخري لتصوير الجمال الآخاذ لفتاة فقال:

فـــتن الكـــون كلـــه بفتـــاة ∴ بـث فيهـا الجمـال سـحرا حـلالا[٤]

ومن تناصه مع الأدب القديم أخذه المعني الذي ذكره المتنبي وهو الذي يدل علي الشدة الشديدة التي تجعل المرء يتمني الموت يقول الخفيف:

يتمنـــى المـــوت فـــى محنتـــه ∴ ضـجعة المـوت خـلاص اليائسـين

(١) الأعمال الشعرية يوسف الخطيب ،(الطبعة الثالثة) ، ٢٨٩ –٢٩٠.

(٢) الديوان :٨٦

(٣) الاستذكار (٨/ ٥٥٨).

(٤) الديوان : ٢٥١

وهذا تناص من أبيات شيخ شعراء العربية أبي الطيب المتنبي حيث في مطلع قصيدته وعنوانها في ديوانه بنفس شطر مطلعها يقول:

كفى بكَ داءً أنْ ترَى الموْتَ شافِيَا ∴ وَحَسْبُ المَنَايَا أنْ يكُنّ أمانِيَا[1]

وله تناص من الأدب القديم في قوله:

رب يوم عضك الجوع به ∴ كان أشهى لك مما يبذلون[2]

فهذا فيه تناص مع قول عتبة بنت عفيف (أم حاتم الطائي):

لعمري لقدمًا عضّني الجوعُ عضّةً ∴ فآليتُ ألاّ أمنعَ الدّهر جائعا

فعضة الجوع هذه ما أساليب العربية التي تدل علي الفقر الشديد والفاقة حتي لا يجد المرؤ ما يأكله فتلتوي أحشاؤه من شدة الجوع فكأن الجوع يعضه ولعل أول استعمال لهذا الأسلوب في الشعر هو ما ذكرناه لأم حاتم الطائي[3].

---

(١) ديوان المتنبي ،ص: ١٠١ ، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣- ١٩٨٣

(٢) الديوان :٩٦.

(٣) يذكرون أن جود "حاتم" جاء إليه من أمه "عنبة"، التي كانت سخية إلى حد الإسراف، حتى حبسها إخوتها سنة في بيت لعلها تكف عما كانت عليه، إذا ذاقت طعم البؤس وعرفت فضل الغنى، ثم أخرجوها ودفعوا إليها صرمة من مالها، فأتتها امرأة فسألتها، فقالت لها: دونك الصرمة، فقد والله مسني الجوع ما آليت معه ألا أمنع الدهر سائلا شيئا! ثم أنشأت تقول :

لعمري لقدما عضني الجوع عضة ∴ فآليت ألا أمنع الدهر جائعا

فقولا لهذا اللائمي الآن أعفني ∴ وإن أنت لم تفعل فعض الأصابعا

فماذا عساكُمْ أنْ تقولوا لأختِكُمْ ∴ سوى عذلِكم أو عذلِ مَن كانَ مانَعا

ولا ما ترون اليوم إلا طبيعة ∴ فكيف بتركي يا ابن أم الطبائعا

ينظر: الشعر والشعراء ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦هـ)،تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف(الطبعة الثانية)١ /١٦٥.والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،د. جواد علي.

وفي قصيدته: الطائر السجين . وهو يتحدث عن استشعار الألم والشعور بالذلة لا يعرفه علي حقيقته إلا من عاينه يقول:

يعـــرف الأغـــلال مـــن كابـــدها ∴ وعرفناهـــــا كرامـــــا صـــــابرين[1]

من البيت المشهور مجهول القائل:

لا يعـرف الشـوق الا مـن يكابـده ∴ ولا الصـــبابة الا مـــن يعانيهـــا[2]

فالمعني في البيتين أن الإنسان لا يعرف حقيقة الشئ إلا إذا جربه في نفسه وعاينه في ذاته أما ما يوصف له فمهما بلغ الواصف من براعة في الوصف وبلاغة في النعت فلن يوصل إليك حقيقة الشيء فالخفيف يبين أن الأغلال لا يعرف ذلها واثرها إلا ما كابدها وتلبس بها ثم يبين حاله ومن معه فيها فهم الكرام الذين لا يهينهم القيد وهم الصابرون الذين لا يجزعون من هذه القيود وهذه الزيادة عند الخفيف فقد صاغ الشطر الأول (يعرف الأغلال من يكابدها) لحكم مسلم به بدهي ليرد حكم من يظن نفسه يستطيع استيعاب ما عانوه ثم يأتي في الشطر الثاني علي حالهم تلقاء هذه الحالة وأمام هذه التجربة المريرة فهم صابرون متجلدون وقد استوعب في شطره الأول المعني الذي في شطري البيت المشهور.

وفي قصيدة :الشيخ! يقول :

يشـــكر ربـــا رازقـــا منعمـــا ∴ ويســـــتديم الله مـــــا انعمـــــا

(١) الديوان :٩٦.

(٢) البيت مذكور في كتب كثيرة مها : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه : د. أحمد الحوفي ، و بدوي طبانة ، دار نهضة مصر، الفجالة ، القسم الأول ، ص :١٧١.

وهو يذكر حالة الشيخ الكبير وقد آب إلي الله ورجع وذلك لما أضعفه السن واعلمه حقيقة حاله وأنه العبد الضعيف للرب القوي والمخلوق الفقير للإله الغني وأن نعمه لا تبقي إلا بشكر منعمها فهو يلهج دائما بالشكر ولسانه يعمل بالحمد .

وهذا فيه تناص مع شيخ شعراء العربية أبي الطيب المتنبي الذي يقول:

مقلّـدًا فـوق شـكر الله ذا شـطبٍ ∴ لا تسـتدام بأمضـى منهمـا الـنّعم

والمعني واحد مع الزيادة في بيت المتنبي التي تناسب ما هو فيه من حاله فالمتنبي يمدح سيف الدولة ولنري شرح شيخ المعرة في هذا لنفهم حال البيت"مقلدًا: نصب على الحال، أي قفلت مقلدًا. وشطب السيف: طرائقه.يقول : قفلت من الغزو، وأنت مقلدًا سيفًا ذا شطب، فوق شكر الله تعالى على ما أولاك من الظفر وكساك من النصر، فجعلت الشكر دثارًا والسيف شعارًا. ثم قال: إن النعم لا تستدام بشيء أمضى من شكر الله تعالى، ومن السيف القاطع؛ لأن الشكر يحرس النعم من الزوال ويحفظها من حوادث الأيام والانتقال والسيف يذب عنها كيد الحساد فتدوم النعم" (١).

وفي قصيدة : تكلم الفلاح . يأتي بتناص مع شيخ المعرة في معني براءته من الجناية التي جعلت الدهر يقف ضده ويعنته ويضنيه ويتعبه فلا يري راحة ولا يجد مستقرا فهو يخرج من تعب إلي تعب من مشقة لمشقة ثم يبحث عن السبب فلا يعرفه وذلك علي لسان الفلاح فيسأل ماذا جنته يدي سؤال استفهام وانكار في نفس ونفي لجنايته ولكن المعري يجد سبب هذا العنت ومن جناه فيزيد معني لم يستوعبه الخفيف وهو جناية الوالد الذي انجبه يقول الخفيف:

(١) معجز أحمد ، لأبي العلاء المعري ، تحقيق الدكتور: عبد المجيد دياب، دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٤م.

يـــا ويلتـــا مـــاذا جنتـــه يـــدى ∴ يـدى بنـت فـوق التـراب الحيـاة[1]

يـا ليـت فأسـي لـم تجلهـا يـدي ∴ أو ليتنـــي يـــا قـــوم لـــم أولـــدا

أما أبو العلاء المعري فيقول:

هـــذا جنـــاه أبـــى علـــيَّ ∴ ومـــا جنيـــت علـــى أحـــد[2]

ومن قصيدة : تكلم الفلاح.يقول الخفيف:

ضـنيت حتـى مـا عرفـت الضـنى ∴ والمـوت طبـى بعـد طـول العنـا

شـقيت حتـى قـد جهلـت الشـقاء ∴ وبغـض اليـأس لقلبـى الرجـاء[3]

والمعني أنها من شدة أعماله المضنية والتي يعملها زمنا طويلا اعتاد عليها وألفها حتي ماصار يشعر بتعب ولا ضني ومن شدة إلفه للشقاء ومعايشته له جهل أنه شقاء بل صار له أمرا طبيعيا وشيئا مألوفا... هذا المعني مأخوذ من قول مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ المبرد النَّحْوِيُّ :

تَعَـوَّدْتُ مَـسَّ الضُّـرِّ حَتَّـى أَلِفْتُـهُ ∴ وَأَخْرَجَنِـي حُسْنُ الْعَزَاءِ إِلَـى الصَّبْرِ[4]

وهو نفس المعني الذي أخذه الخفيف وصاغه في البيتين المذكورين.

---

(١) الديوان :١١٤

(٢) لزوم ملا يلزم ، المعري،ص:١٥١

(٣) الديوان :١١٥

(٤) البعض ينسب البيت لأبي الأسود الدؤلي لكنه جاء ومعه بيت آخر في كتاب: المجالسة وجواهر العلم ، أحمد بن مروان بن محمد الدينوري أبو بكر القاضي المالكي ،تح: مشهور بن حسن آل سلمان أبو عبيدة ،نشر: جمعية التربية الإسلامية – دار ابن حزم ،(١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م).

ومن المعاني التي أخذها الخفيف من التراث الأدبي القديم وصفه وهو يتحدث عن جوع الفلاح المصري وهو يبني تلك الصروح العظيمة الأهرامات فعبر ب (طاوي الحشا) وهي صورة للجوع الشديد قديمة يقول:

أقول إما بت في مضجعي ∴ طاوي الحشا :تبت يدا من بناه[1]

وهذا المعني مأخوذ من قول الحطيئة والذي فيه عن جائع لمدة ثلاث ليال:

وَطاوي ثَلاثٍ عاصِبِ البَطنِ مُرمِلٍ .

ومن قول ينسب إلي الإمام علي كرم الله وجهه:

والعار في رجل يبيت وجاره ∴ طاوي الحشا متمزق الأطمار

ومن قول ابن خفاجة الأندلسي الذي ذكر أن الطوى للحشا ولكنه جاء في معني المدح عند ابن خفاجة لأنه من صفات الجمال للنساء:

وَمُهَفهَفٍ طاوي الحَشا

أما في أبيات الخفيف فإنه من الجوع وشدة الضنك .

ومن تناصه مع الأدب القديم قوله :

غداة ذرفت عصى الدموع ∴ فأرخصت دمعى لدى أسرى[2]

فقد اخذ المعني المشهور لأبي فراس الحمداني والذي سطره للدموع التي لا يستطيع المرؤ إخراجها مع حاجته لها ليستريح فسماها عصي الدمع فالدموع هي التي تأبي الخروج وترفض أن تنزل فهي العاصية:

(١) الديوان:١١٦

(٢) الديوان : ١٣٣

أرَاكَ عَصِيَّ الدّمعِ شِيمَتُكَ الصّبرُ[1] ∴ ... ...

وفي التناص مع الأدب القديم ما قاله الخفيف في معني التجلد المفضوح والتصبر المشهور حيث يريد الرجل أن يستر حاله ويمنع مقاله لكن عيونه تفضحه وتنم عليه وتظهر ما يخفيه وتبدي ما يريد أن يواريه:

يريهـا التجلـد فـى صـمته ∴ فتكشـف عينـاه عـن سـره[2]

وقد أخذ هذا المعني من الشاعر عباس بن الأحنف الذي صاغ هذا المعني بروعة فقال:

لا جـزى الله دمـع عينـي خيـرا ∴ وجـزى الله كـل خيـر لسـاني

نـمّ دمعـى فلـيس يكـتم شـيئا ∴ ورأيـت اللسـان ذا كتمـان[3]

ومن تناصه مع الأدب القدين قوله:

وانهـض إلـى المـوت وخـض لجـه ∴ مبتسـما فـى وجهـه الأقـتم[4]

هذا المعني وتلك الصورة التي تظهر البطل يدخل إلي ساح الوغي وهو يعلم أنه سوق يموت ورغم هذا الشعور المريع فهو يلقي الموت فرحا مسرورا مستبشرا به غير خائف ولا وجل هذا المعني مأخوذ من المتنبي في مدحه لسيف الدولة:

وَقَفْتَ وَمـا فـي المَـوْتِ شكٌّ لوَاقِـفٍ ∴ كأنّـكَ فـي جَفـنِ الـرّدَى وهْـوَ نـائِمُ

(١) ديوان أبي فِراس الحمداني، شرح: الدكتور. خليل الدويهي، ص :٦١، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م.

(٢) الديوان : ١٣٢

(٣) ديوان العباس بن الأحنف ، تحقيق : عاتكة الخزرجي ، ص :٨٥ ، مطبعة دار الكتب المصرية ،١٩٥٤م.

(٤) الديوان : ١٥٣.

تَمُـرّ بـكَ الأبطـالُ كَلْمَـى هَزيمَـةً ∴ وَوَجْهُـكَ وَضّـاحٌ وَثَغْـرُكَ باسِـمُ[1]

وفي قصيدة :الجزائر المجاهدة . يتناص مع الأدب القديم ويذكر رمزين من رموز الغزل وهما قيس وليلي وهم من بني عامر وكان يرعيان الغنم فعشقها ، ولما طلبها رفض ابوها علي عادة العرب لأنه شعر بحبها وزوجها غيره فجن وعاش هائما علي وجهه يأنس بالوحش ويستوحش من الناس حتي مات ملقي بين أحجار وصار وليلي مثلا لأعلي درجات العشق.

نسـيت كـل فتـاة قيسـها ∴ كـل ليلـى ودعـت فيـه هواهـا[2]

وقد تناص مع المتنبي في بيته الشهير الذي يقول فيه:

الخيـل والليـل والبيـداء تعرفنـي ∴ والسـيف والـرمح والقرطـاس والقلـم

تناص مع معانيه الخفيف فيقول:

أخـو الخيـل والسـيف والبيـد والليـل ∴ يمضـى فيزجـى الـردى كيـف شـاء[3]

وفي قصيدة : حينما كنا صغيرين. يتحدث عن أن الحب الذي يعانيه هو ومحبوبته قد اسر قلبيهما منذ كانا صغيرين لا يدركان متاعب الحياة ولا يعرفان ما فيها من صفات الكره والمكر وسوء فعال الناس ولا يظنان ان الدنيا تتقلب بالناس يقول الخفيف:

يـا زمانـا عرفتـه حـين كنـا ∴ نشـبه الزهـر فـى معـانى النقـاء[4]

(١) ديوان المتنبي: ٦٥.
(٢) الديوان : ١٧٠
(٣) الديوان : ١٧٠
(٤) الديوان : ٢٤٨

أعـرف الحـب منـذ كنـت صـغيرا ∴ مطمئنـــا إلـــى نعـــيم الحيـــاة[1]

وقد أخذ هذه المعاني من شعر قيس بن الملوح وتناص معه حيث يتحدث عن نفس الحالة وهي العشق في الصبا والحب في الصغر فيقول:

تعلقـت ليلـى وهـي غـر صـغيرة ∴ ولـم يبـد للأتـراب مـن ثـديها حجـم

صـغيرين نرعـى الـبَهمَ ياليـت أننـا ∴ إلـى اليـوم لـم نكبـر ولـم تكبـر الـبَهمُ

قوله من قصيدة :لقاء .تناص مع الفرزدق وأخذ معناه الذي ذكره عندما يكون الانسان شديد الحياء فلا ينظر في عيني من يخاطبه ولا يصوب نظره فيه ، تناص الخفيف مع هذا المعني وأخذه في وصف المحبوبة التي يلاحظها ويراقبها فلما وقف ينظر إليها لم تستطع من شدة الحياء أن تنظر إليه بل اطرق إلي الأرض وأغضت من شدة حيائها يذكر الخفيف هذا المعني فيقول:

أطرقـــت عفـــة وأغضـــت حيـــاء ∴ إذ رأتنـــي محـــدقا فـــى اشـــتياق[2]

وقد ذكر هذا المعني الفرزدق وهو يمدح زين العابدين بن الحسين فذكر من حسن خلقه ومن أجمل سماته أنه حيي خجول والحياء من الإيمان ،ومن هذه السمات التي ورثها من اهله الأطهار وزادها من نفسه الزكية الحياء حيث لا ينظر في وجه محدثه حياء ومحدثه لا يستطيع أن ينظر في وجهه هيبة وهذه المفارقة العجيبة بين الفعلين فكلاهما يغضي ولكن الدافع مختلف فهذا يغضي حياء وذاك يغضي هيبة يقول الفرزدق :

يُغْضِي حَياءً و يُغْضى مِنْ مَهابَتِهِ

(١) الديوان : ٢٤٨

(٢) الديوان :٢٥٤

وفي قصيدة : جمال وشوك. بتناص الخفيف مع المتنبي في معني جميل وهو أن الجهل نعمة لمن يتمتع به وأن العقل يصاحبه الشقوة وعدم الاستمتاع بمباهج الحياة لأن العاقل لا يعيش لنفسه بل يعيش للآخرين ويفكر فيهم فهو لا يهنأ علي حال يقول الخفيف:

نعماؤهـــا أن تجهـــل الأنعمـــا ∴ وغايـــة الشـــقوة أن تعلمـــا[1]

وهذا المعني تناص مع قول المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقلهِ ∴ وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

فكلاهما ألفاظ متغايرة لمعني واحد وهو أن العقل يلازمه الهم وعدم الراحة والجهل يلازمه الصفاء وخلو البال وعدم الفكر الذي يزيل الراحة.

ثانياً : مع الأدب الحديث والمعاصر.

الشاعر ابن مجتمعه يعايش قضاياه ، ويعبر عن طموحه وتطلعاته ، كما يدين سقوطاته وتأزماته ، لأنه جزء من حلقة التواصل مع مظاهر الحياة انسانية في مختلف عصورها ، وهو لا يبدع بعيدا عما يجرى من حوله ؛ لذا يبحث عن مادة إبداعه من مخزونه المعرفي ، فيتلاقى ويتداخل معه ضمن نسيج النتاج الأدبي بشكل مباشر أو غير مباشر. [2]

وكانت هذه الدراسة تحتاج لقراءة الشعراء المعاصرين لهذا الشاعر لنري التناص بينه وبينهم ولكن هذا سيطيل البحث وسيحتاج لإفراد بحث آخر نستعين بالله علي عمله إن يسر الله.

---

(١) الديوان : ٢٨٤

(٢) انظر : التشكيلات الفنية لصورة الدم في الشعر الفلسطيني الحديث ،أسامة عزت شحاته ص ٥١.

ومن تناصه مع الأدب المعاصر قول الخفيف وهو يتحدث عن جهادنا ضد الأعداء في مختلف الأزمان فبقول:

سل الحرية الحمراء عنا ∴ ألم نوسع أعادينا قتالا؟[1]

والحرية الحمراء هي من العبارات التي طارت بها الدنيا لأمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته عن نكبة دمشق والتي منها هذا البيت:

وللحُرِّيَّةِ الحَمراءِ بابٌ ∴ بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ

ووصف الحرية بالحمراء دلالة علي أن الحرية لا تعطي لأهلها بسهولة ولا تمنح لهم بيسر بل لابد فيها من التضحية بالدماء وبذل الأرواح ؛ فحمرة الحرية آت من صبغها بالدماء وبذل المهج والنفوس لأجلها.

ومن تناصه مع الأدب المعاصر قوله من قصيدة (وداع):

يؤرقني طيف هذا الوداع ∴ وتبعث ذكراه أشجانية

أغني لمرآه لحن الأسي ∴ وكم ألهم الوجد ألحانيه[2]

وإني لذو كبرة في الخطوب ∴ وإن اغرق الرفق أجفانيه[3]

وهذا الأرق بالليل للهموم والأحداث والبعد عن الأحباب ومفارقتهم وأثر ذلك في الرق القاتل المانع للراحة والمجافي للنوم هو ما اشتهر عن رب السيف والقلم محمود سامي البارودي والذي له قصيدة مشهورة تسمي طيف سميرة:

تأوب طيف من سميرة زائر ∴ وما الطيف إلا ما تريه الخواطر

(١) الديوان :٨٦

(٢) الديوان : ١٣١.

(٣) الديوان : ١٣١.

طوى سدفة الظلماء والليل ضارب ∴ بأرواقه والنجم بالأفق حائر

فيا لك من طيف ألم ودونه ∴ محيط من البحر الجنوبي زاخر

تخطى إلى الأرض وجدا وما له ∴ سوى نزوات الشوق حاد وزاجر

ألم ولم يلبث وسار وليته ∴ أقام ولو طالت علي الدياجر

تحمل أهوال الظلام مخاطرا ∴ وعهدي بمن جادت لا تخاطر

فالخفيف اسهره وأسهد ليله مرور طيف الوداع في خاطره وجعله يصاب بالشجن ويحزن ويغني ألحان الحزن والبكاء وهو عين ما اصاب البارودي عندما مر بذهنه طيف ابنته سميرة وتذكر الفراق ولحظات حزنها عندما ودعته فأرق وسهر وكلاهما جفاه النوم لما مر بخياله، وما الخيال إلا انعكاس ما فى القلوب.

المطلب الرابع

التناص الشعبي والأسطوري

يتقاطع الموروث والأدب الشعبي مع مختلف المرجعيات المعرفية والثقافية من تاريخ وأدب وأسطورة ومعتقدات وغيرها ، ذلك أن الموروث يمثل الذاكرة الجماعية الشعبية في حياة الأمة ويعبر عن مشاعرها وحاجاتها وتطلعاتها بشكل عفوي صادق فهو جزء من الثقافة الجماعية المستقرة في وعى الجماعة أو لا وعيها ويشكل نمط سلوكها وطباعها ومعتقداتها. (١)

ويأتي هذا التناص الشعري مع الموروث الشعبي في صورة حكاية او سيرة شعبية فالحكاية والسيرة الشعبية فن أبدعه الخيال ،إما لتفسير أحداث تاريخية ،أو لتعليل بعض التغيرات الاجتماعية ،أو لنسج العابر وأحاديث السمر .وتطوير الشعراء لدلالات الرمز الشعبي ينأى بتجاريهم الشعرية عن التقليد ، بحيث يتيح للقصيدة نوعا من التوتر النامي للاستيحاء من الدلالات الجديدة(٢).

أو في صورة مثل شعبي ويرتبط المثل بخلاصة تجارب وخبرات الشعوب كافة ويمتاز بالتكثيف والعمق مع الإيجاز مما يؤدى إلى سرعة انتشاره بين عامة الناس(٣).

أو أن الشاعر يتناص مع عادة أو تقليد لأن الشاعر ابن مجتمعه ،ويرث تاريخه الاجتماعي بعاداته وتقاليده ،والخطيب ابن دورا الخليل ،تلك القرية التي حفرت اخاديدها في ذاكرته الحية.

---

(١) صوت التراث والهوية :دراسة في اشكل التناص الشعبي في شعر توفيق زياد .د. توفيق زياد د. إبراهيم نصر موسى ،مجلة جامعة دمشق ،مج٢٤،ع١-٢،٢٠٠٨م،ص١٠٤.

(٢) انظر التناص في الشعر العربي الحديث :البرغوثي نموذجا ،حصة ديادى ، ص٦١.

(٣) انظر التناص بين النظرية والتطبيق .د. أحمد طعمة حلبى ،ص١٢٢.

ومن تناصه مع الأمثلة قول الخفيف:

تروعنـــي كبـــوة هـــذا الجـــواد ∴ يســـــقط لا مـــــن وهـــــن[1]

والمثل المشهور لكل جواد كبوة ،ولعل هذا المثل مأخوذ من كلمة مشهورة لابن القرية[2] قالها للحجاج :(أيها الأمير: لكل جواد كبوة، ولكل شجاع نبوة، ولكل كريم هفوة) وصارت من الشهرة مثلا يضرب لكل عاقل يخطئ في أمر ما، وتقوله كل الناس في كل موقف يزل فيه الحليم أو يخطئ فيه عاقل وصار تراثا شعبيا ،ويستعمله الشعراء في كل موقف.

ومن تناص الخفيف مع العادات والتقاليد تناصه مع عيد وفاء النيل وهو أحد الأعياد المصرية التي ترجع إلى العهد المصري القديم منذ سبعة آلاف عام، وما زال المصريون يحتفلون به حتى اليوم. لم يتغير من الاحتفال شيء، سوى أن المصريين لم يعودوا يلقوا بعروسٍ خشبية في النيل بل اقتصر الأمر على الاحتفال على ضفاف النهر، وهم يقيسون ماء النيل فإذا وصلت لمنسوب معين مبشر بالخير ؛يحتفل المصريون وجاء الإسلام وهم علي ذلك ولم يغير إلا ما قيل من أنهم كانوا يلقون بعروس فمنع هذا والاحتفال يوم ١٣ بؤونة ، يقول الخفيف:

وفـــاؤك عيـــد يعـــم الـــبلاد ∴ ويغمـــــر بـــــالخير أركانهـــــا[3]

---

(١) الديوان :١٢٧

(٢) وابن القِرِيَّة هو أيوب ابن القِرِيَّة وهي أمه، واسم أبيه يزيد بن قيس. أعرابي أمّي، فصيح مفوه. برع في الخطابة حتى صار يضرب المثل به؛ فيقال: أبلغ من ابن القِرِّية. وقد شهد له بالتفوق في الفصاحة والخطابة علماء كبار، منهم الأصمعي. وكانت له درر عن الخيل العربية.

(٣) الديوان : ٩٠

أهم المصادر والمراجع

١- المصادر :

محمود الخفيف ديوان شعر .والدراسة ل: علي محمد محمود الخفيف ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م.

٢- المراجع :

أولا : **القرآن الكريم**.

ثانيا: **الحديث النبوي الشريف**.

١- الإمام البُخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، وكتابه (صحيح البخاري).

٢- الإمام مسلم ، مسلم بن الحجّاج النَيْسابوري، وكتابه (صحيح مسلم).

٣- الإمام النَسائي، أحمد بن شعيب النَسائي، وكتابه (سُنن النَسائي).

٤- الإمام أبو داوُد ، سُليمان بن الأشْعَث السجسْتاني، وكتابه (سُنن أبي داود).

٥- الإمام التِرْمِذي ،محمد بن عيسى بن سَوْرة التِرْمِذي، وكتابه (سُنن الترمذي) أوْ(جامع الترمذي).

٦- الإمام ابْن مَاجَهْ ، محمد بن يَزيد ابن ماجه القزْويني، وكتابه (سُنن ابن ماجهْ).

٧- تفسير القرطبي ، دار الريان للتراث (د.ت).

ثالثا : **الكتب والدراسات**.

- الإنسان بين العلم والدين : د. شوقي أبو خليل ، دمشق- بيروت: دار الفكر ١٩٧١م.

- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي الحديث ، دعلي عشري زايد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٤١٧هـ١٩٩٧م.

– تحليل الخطاب الشعري" استراتيجية التناص"، محمد مفتاح ، الدار البيضاء، دار التنوير للطباعة والنشر، (الأولي)١٩٨٥م .

– تاريخ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (المتوفى: ٧٤٩هـ)ـ دار الكتب العلمية، بيروت(الأولى)، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

– تَارِيخُ الجَزَائِرِ فِي القَدِيمِ وَالحَدِيثِ ،للشَّيْخِ مُبَارَكِ بْنِ مُحَمَّدٍ المِيلِيِّ ، المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر بالاشتراك مع دار الغرب الإسلامي بلبنان سنة ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) .

– تاريخ الدولة العثمانية من النشوء غلي الانحدار ، د. خليل اينالجيك ، ترجمة : د. محمد .م. الأرناؤوط ، دار المدار الإسلامي. (الأولي) ٢٠٠٢م.

– التناص بين النظرية والتطبيق شعر البياتي نموذجا ، د. أحمد طعمة حلبى الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا ٢٠٠٧م.

– التناص نظريا وتطبيقيا، أحمد الزعبي، عمّان، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، (الثانية) ٢٠٠٠م.

– تخصيب النص، محمد عمّان الجزائري، أمانة عمان الكبرى،(الأولي) ٢٠٠٠م.

– خيرة حمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، منشورات اتحاد كتاب العرب، ١٩٩٦م، دمشق.

– الخروج من التيه دراسة في سلطة النص، عبد العزيز حمودة، الكويت، عالم المعرفة، (الاولي) ٢٠٠٣م.

– ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له/ الأستاذ علي فاعور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

– ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

– ديوان أبي فِراس الحمداني، شرح: الدكتور/ خليل الدويهي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

– ديوان ابن خفاجة، تحقيق: عبد الله سنده، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .

– ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب د.مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الاولى ١٤١٣هـ _ ١٩٩٣م.

– ديوان العباس بن الأحنف ، تحقيق : عاتكة الخزرجي ، مطبعة دار الكتب المصرية ،١٩٥٤م.

– اللزوميات ،لأبي العلاء المعري، تح: أمين عبدالعزيز الخانجي ،مكتبة الهلال بيروت، مكتبة الخانجي القاهرة.

– الدلالة المرئية، علي جعفر العلاق، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،(الأولي)٢٠٠٢م .

– الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، محمد بنيس، المغرب ، دار توبقال، (الأولي) ،الجزء الثالث.

– ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، محمد بنيس، دار التنوير بيروت ، (الثانية) ١٩٨٥م.

– العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، (الخامسة)، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

– علم النص، جوليا كرستيفيا، ترجمة:فؤاد الزاهي، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، (الأولي)١٩٩١ م.

– في أصول الخطاب النقدي الجديد، مارك أنجينو، (الفصل الخامس بمفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد)، ت. أحمد المديني، ط١، ١٩٨٧م، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

– قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية، عبد العزيز موافى، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط ١، ٢٠٠٤م.

– قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، خليل الموسى ، دمشق، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب ٢٠٠٠م .

– من معالم الشعر الحديث في الأردن وفلسطين، إبراهيم خليل، دار مجدلاوي ،عمّان،(الأولي) ٢٠٠٦م.

– مقدمة في النظرية الأدبية، تيري إيجلتن، ت. إبراهيم العلي، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٢م.

– المبدأ الحواري، تودوروف، ت. فخري صالح، ط١، ١٩٩٢م، بغداد.

رابعا: المجلات الدوريات العلمية.

– (إنتاج معرفة بالنص)، حسين خمري، مقال في مجلة دراسات عربية، ع١١-١٢، السنة ٢٣ أيلول- تشرين أول ١٩٨٧م، بيروت.

– استراتيجية التناص في الخطاب الشعري العربي الحديث، علامات في النقد، محمود جابر عباس، نادي جدة الأدبي، جدة، شوال ١٤٢٣هـ .

– التناص القرآني في شعر محمود درويش وامل دنقل ، د. علي سليمي ورضا كيالي، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها ،جامعة سمنان إيران ع:٩ ،٢٠١٢م.

– (التناص والأجناسية في النص الشعري)، د. خليل الموسى، مقال في مجلة الموقف الأدبي، ع٢٠٥، أيلول ١٩٩٦م، السنة ٢٦، دمشق.

– التناص في القصيدة الحديثة"، عبد المنعم عجب الفيا، الكويت، البيان، رابطة الأدباء، العدد : ٣٥٥ .

– التناص في نماذج من الشعر المغربي المعاصر، تركي المغيض ، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد: ٢٠، العدد: ١ ، ٢٠٠٢م.

– التناص بين الاقتباس أو التضمين والوعي واللاشعور، نجم مفيد، الشارقة، ملحق بيان الثقافة، جريدة الخليج، العدد: ٥٥ ، يناير ٢٠٠١ م.

– ثقافة الأسئلة مقالات في النقد والنظرية، عبد الله الغذامي ، جدة، النادي الأدبي الثقافي، (الثانية)١٩٩٢م.

– صوت التراث والهوية(دراسة في اشكل التناص الشعبي في شعر توفيق زياد) .د. توفيق زياد د. إبراهيم نصر موسى ، مجلة جامعة دمشق المجلد: ٢٤،العدد١،٢٠٠٨ .

– (الليث والخراف المهضومة دراسة في بلاغة التناص الأدبي)، د. شجاع العاني، مقال في مجلة الموقف الثقافي، ع١٧، السنة الثالثة ١٩٩٨م، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

– ماهية النص، عبد الستار ألأسدي، مجلة الرافد، الشارقة، العدد الحادي والثلاثون ،٢٠٠٠م .

– ماهية التناص: قراءة في إشكاليته النقدية ، عبد الستار جبر الأسدي ، (بحث علي شبكة المعلومات الدولية) .

http://www.aljabriabed.net/n28_09fikrassad.htm

– التناص آفاق التنظير وآليات التطبيق ،د.خالد بن ربيع بن محمد الشافي (د.ت) (د.ط).